النبي

و

البروليتاريا

كريس هارمان

ترجمة
مركز الدراسات الاشتراكية
١٩٩٦

- **اسم الكتاب: النبي والبروليتاريا**
- **بقلم: كريس هارمان**
- **تصميم الغلاف: نهاد عبد الغني**
- **الناشر: مركز الدراسات الاشتراكية**
- **رقم الإيداع بدار الكتب: ٣٨٧٤/ ١٩٩٦**

فهرس

مقدمة الناشر

فشلت قوى اليسار في مصر والعالم العربي في اتخاذ موقف ثوري تجاه صعود الحركة الإسلامية ، فقد انقسم اليسار بين فريقين رئيسيين الأول يعتبر ان الحركة الإسلامية فاشية ويبرر بذلك تأييده للمع الوحشي الذي تمارسه الأنظمة الحاكمة ضدها، بينما يرى الفريق الآخر ان الحركة الإسلامية ذات طابع تقدمي التحليل السليم لطبيعة الحركة الإسلامية، وأسباب قدرتها علي حشد قطاعات كبيرة من الجماهير خلف شعاراتها هكذا فشل اليسار في بناء استراتيجية صحيحة للتعامل مع الحركة الإسلامية مما ساعد هذه الحركة علي الاستفادة من التخبط الذي تغيير المجتمع بسبب تنامي الأزمة التي تعاني منها تلك الشرائح.

إن هدف هذه الكراسة هو كشف هذا الفشل وتوضيح النتائج المأساوية للمواقف التي اتخذها اليسار في دول مثل مصر والجزائر وإيران والسودان، والتأكيد علي ضرورة فهم الأساس الطبقي للحركة الإسلامية كمقدمة لفهم التناقضات التي تظهر بوضوح داخل الحركة بشقيها المعتدل والمتطرف وبالتال يتحديد الموقف الماركسي الثوري المستقل تجاهها.

لقد أصبح من الضروري الآن بناء استراتيجية ماركسية ثورية تكون قادرة علي نقد وكشف طوباوية ورجعية المشروع الإسلامي لتغيير المجتمع، وطرح مشروع ثوري آخر، للمشروع الاشتراكي الثوري. وأهم شرط في وضع هذه الاستراتيجية هو الاستقلال وعدم الخضوع لرؤية الطبقات الحاكمة وموقفها من الحركة الإسلامية، وأيضا عدم التهويل من إمكانيات الحركة الإسلامية مما قد يؤدي الي تذيلها وليكن شعار هذه الاستراتيجية هو:

أحيانا مع الإسلاميين دائما ضد الدولة.

تـقـديـم

تسيطر الحركات الإسلامية علي العالم السياسي في الشرق الأوسط وما وراءه منذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ علي الأقل، وهذه الحركات بأسمائها المتعددة في الغرب مثل " الأصولية الإسلامية و الإسلامية و"التوحيدية" و الإسلام السياسي، والصحوة الإسلامية تطالب بإحياء المجتمع من خلال العودة إلى التعاليم الأولى للرسول محمد. وقد أصبحت قوة رئيسية في إيران والسودان (حيث ما زالت تسيطر علي السلطة) ومصر والجزائر وطاجيكستان (حيث تشتبك في صراع مسلح مرير ضد الدولة) وأفغانستان(حيث يشتعل القتال ما بين الحركات الإسلامية المتصارعة منذ انهيار الحكومة المؤيدة للروس) وفي الضفة الغربية المحتلة في الأردن (حيث تتحدى بكفاحيتها السيطرة القديمة لمنظمة التحرير الفلسطينية علي المقاومة الفلسطينية)، وفي باكستان (حيث تشكل جزءا كبيرا من المعارضة) وحديثا في تركيا (حيث يسيطر حزب الرفاه علي اسطنبول وأنقرة ومقاطعات كثيرة أخرى).

وقد كان صعود هذه الحركات صدمة هائلة للأنتليجينسيا الليبرالية وأحدث موجة من الفزع بين هؤلاء الذين اعتقدوا أن " التحديث"، الذي جاء بعد الانتصار الكامل للصراعات المعادية للاستعمار في الخمسينيات والستينات، سيؤدي حتما الي مجتمعات أكثر استنارة وأقل قهرا(١). وعلي العكس من ذلك يرون صعود قوي تبدو أنها تتطلع الي الوراء الي مجتمعات أكثر انغلاقا وتدفع النساء الي الحجاب ، وتستخدم الإرهاب لتحطيم الفكر الحر، وتهدد بتوقيع عقوبات همجية علي من يتحدون قراراتها. وفي بلاد مثل مصر والجزائر يقف الليبراليون الآن بجانب الدولة التي اضطهدتهم وسجنتهم في الماضي، في الحرب التي تشنها ضد الأحزاب والحركات الإسلامية.

ولكن لم يكن الليبراليون وحدهم الذين اندفعوا في التخبط بسبب صعود الحركة الإسلامية. بل وأيضا اليسار. فلم يعرف كيف يتعامل مع ما يراه نظرية ظلامية، تساندها قوى رجعية تقليدية، وتتمتع بالنجاح في أوساط بعض الجماعات الأشد فقرا في المجتمع. ونتج عن ذلك نظريتين متعارضتين.

الأولى كانت النظر الى الحركة الإسلامية على أنها تناسخ رجعى، كنوع من الفاشية. وعلى سبيل المثال، كان هذا موقف أكاديمية فريد هاليداى الذى اتخذته بعد الثورة الايرانية مباشرة، فأطلقت على النظام الايرانى "اسلاميا ذا وجه فاشى". (٢) وتبنى هذه الرؤية الكثير من اليساريين الايرانيين بعد تعزيز نظام الخومينى في ١٩٨١ – ١٩٨٢. وهذه الرؤية يتقبلها أيضا الكثير من اليساريين في مصر والجزائر اليوم. وهكذا، مثلا، ترى أحد المجموعات الماركسية الثورية في الجزائر أن مبادئ وأيديولوجية وسياسات جبهة الانقاذ الإسلامية مماثلة لأفكار وسياسات الجبهة الوطنية في فرنسا، وأنها تيار فاشى. (٣)

مثل هذا التحليل ينتهى عمليا بسهولة الى بناء أحلاف سياسية لايقاف الفاشيين بأى ثمن. وهكذا انتهت أكاديمية هاليداى الى أن اليسار في ايران قد أخطأ في عدم بناء أحلاف مع " البرجوازية الليبرالية " في ٧٩–١٩٨١ في مواجهة الأفكار والسياسات الرجعية للخومينى. (٤) وفي مصر اليوم، يؤيد اليسار، الذى يسيطر عليه تيار شيوعى سائد، الدولة بقوة في حربها ضد الإسلاميين.

وقد كانت وجهة النظر المضادة هى النظر الى الحركات الإسلامية كحركات " تقدمية " للمقهورين " في مواجهة الامبريالية ". كان هذا هو الموقف الذى تبناه الجزء الاعظم من اليسار الايرانى في المرحلة الأولى من ثورة ١٩٧٩، عندما دعى حزب تودة الموالى للسوفيت، وغالبية منظمة عصابات الفدائيين، ومجاهدو الشعب الإسلامي اليساريون، القوى التى يقودها الخومينى بأنها " البرجوازية الصغيرة التقدمية ". وكانت نتيجة هذه الرؤية هى أن الخومينى بالفعل يستحق التأييد المطلق. (٥)

وقبل ذلك بربع قرن تبنى الشيوعيون المصريون باختصار نفس الموقف نحو الاخوان المسلمين، داعين اياهم للمشاركة في " نضال مشترك ضد "الديكتاتورية الفاشية "لعبد الناصر ومن يساندونه من الامريكان والانجليز". (٦)

وأريد أن أوضح أن كلا الموقفين خطأ. لانهما يفشلان في تحديد الطبيعة الطبقية للحركة الإسلامية الحديثة – أو فهم علاقتها برأس المال، والدولة والامبريالية.

الاسلام – الدين والايديولوجية

يبدأ الخلط غالبا بالتخبط حول قوة الدين نفسه. فيراه المتدينون أنه قوة تاريخية لذاتها، سواء أكان خيرا أم شرا. وكذلك أيضا يفعل معظم البرجوازيين المعادين للدين من أنصار الفكر الحر. وبالنسبة لهم، يكمن طريق التحرر البشرى في محاربة تأثير المؤسسات الدينية والافكار الغيبية في ذاتها.

ولكن برغم أن المؤسسات والأفكار الدينية تلعب دورا بارزا في التاريخ، فان ذلك لا يحدث بالانفصال عن بقي الواقع المادى. فالمؤسسات الدينية تنمو، بطبقاتها من الكهنة والمعلمين، في مجتمع معين، وتتفاعل مع هذا المجتمع. وهى لا تستطيع البقاء في مجتمع متغير الا اذا وجدت طريقة ما لتغيير قاعدة تأييدها. لذلك، مثلا، عاشت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، التى تعود أصولها الى أواخر العهد القديم، من خلال التأقلم بداية مع المجتمع الاقطاعى لمدة الف عام، وبعد ذلك بذلت مجهودا أكبر في التأقلم مع المجتمع الرأسمالى الذى حل محل لاقطاعية، مغيرة الكثير من جوهر تعاليمها في العملية. ان الناس دائما قادرون على اضفاء تفاسير متنوعة على الافكار الدينية التى يعتنقونها، تعتمد على موقعهم المادى، وعلاقاتهم بالآخرين والصراعات التى ينخرطون فيها. والتاريخ ملئ بأمثلة لأناس يعترفون بالمعتقدات الدينية بصورة نموذجية تقريبا، وينتهون الى الجانب العكسى في الصراعات الاجتماعية الكبرى. حدث ذلك مع التمزق الاجتماعى الذى اجتاح أوروبا أثناء الازمة الكبرى للاقطاعية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، عندما طرح لوثر، وكالفن، ومانزر وآخرون كثيرون من القادة الدينيين على أتباعهم وجهة نظر متكاملة جديدة من خلال اعادة تفسير النصوص المقدسة.

ان الاسلام لا يختلف من هذه النواحى عن أى دين آخر. فمن جانب، نشأ الاسلام في مجتمع تجارى في بلاد العرب في القرن السابع عشر، في وسط مجتمع يسود فيه نظام قائم على أساس قبلى. وقد ازدهر خلال سلسلة من الامبراطوريات العظمى التى انقسمت بواسطة بعض هؤلاء الذين أمنوا بنظرياته. وهو يقوم اليوم كأيديولوجية رسمية لدول رأسمالية عديدة (السعودية والسودان وباكستان وايران.. الخ)، وكذلك هو مصدر الالهام لكثير من الحركات المعارضة.

وقد أمكنه الاستمرار في هذه المجتمعات المختلفة لانه استطاع التكيف مع مصالح طبقية متغيرة. وبالتالى توفرت له الاموال لبناء المساجد وتعيين الدعاة من التجار العرب، والبيروقراطيين، وملاك الاراضى، وتجار الامبراطوريات العظمى، والصناعيين في الرأسمالية الحديثة. ولكنه حظى في نفس الوقت بولاء الجماهير من خلال توصيل رسالة تتضمن تعزية للفقراء والمقهورين. وفي كل مناسبة كانت هذه الرسالة توازن بين الوعد بدرجة من الرعاية للمقهورين وتوفير الحماية للطبقات المتسغلة ضد أى انتفاضة ثورية.

هكذا يؤكد الاسلام على أنه يجب على الاغنياء سداد ضريبة اسلامية تعادل ٢,٥ % (الزكاة) لمساعدة الفقراء، وأن الحكام يجب أن يحكموا بالعدل، وأن الازواج يجب أن يحسنوا معاملة الزوجات. ولكنه أيضا يعتبر مصادرة الفقراء لاموال الاغنياء سرقة، ويؤكد على أن الخروج على حكومة " عادلة " جريمة يجب معاقبتها بأقصى العقوبات التى يقرها القانون، ويمنح النساء حقوقا أقل من الرجال في الزواج، وفي الميراث، وفي الاولاد في حالة الطلاق. انه يجذب الاغنياء والفقراء على حد سواء بتنظيم عملية الاضطهاد، فيشكل حماية ضد كل من الاضطهاد الاشد وضد الثورة. انه مثل المسيحية، والهندوسية والبوذية يمثل كلا من القلب في عالم بلا قلب وأفيون الشعوب.

ولكن لا يمكن أن يكون لمجموعة من الافكار مثل هذه الجاذبية لمختلف الطبقات، خاصة عندما يعانى المجتمع من توترات اجتماعية حادة، الا اذا كانت مليئة بالغموض. فلابد أن تستجيب لتفسيرات مختلفة، حتى وان أدى هذا الى صراع بين مؤيديها.

كان هذا صحيحا بالنسبة للاسلام منذ بدايته. فبعد موت محمد في عام ٦٣٢ ميلادية، أى بعد عامين فقط من دخول الاسلام مكة، انفجر الشقاق بين أتباع أبو بكر، الذى أصبح أول خليفة لمحمد في قيادة المسلمين، وعلى، زوج فاطمة ابنة النبى. رأى على أن بعض أحكام أبو بكر كانت قمعية. وتزايد الشقاق حتى حاربت الجيوش الإسلامية المتصارعة بعضها البعض في موقع الجمل التى نتج عنها عشرة الاف قتيل. وكان نتيجة لهذا الشقاق أن ظهر الانفصال بين رؤيتى الشيعة والسنة الاسلاميتين. لم يكن هذا الا أول الانشقاقات العديدة. فقد ظهرت مجموعات متتالية أصرت على أن المضطهدين كانوا يعانون على يد الملحدين وطالبت بالعودة الى الاسلام "الحقيقى" لزمن النبى. وكما يقول "أكبر أحمد":

على مدى التاريخ الإسلامي، كان القادة الإسلاميون يدعون الى العودة الى النموذج. وقد عبروا غالبا عن حركات اجتماعية أو سياسية عرقية غامضة. ووضع الاساس للانتقال الكلى الحاد في الفكر الإسلامي من الشيعة، بامتداداتها مثل الاسماعيلية، الى حركات أكثر معاصرة. والتاريخ الإسلامي ملئ بالمهديين الذين يقودون التمرد ضد السلطة المسيطرة وغالبا ما يموتون بسبب ذلك. وغالبا ما كان القادة من فقراء الفلاحين أو الجماعات العرقية المحرومة. وقد عزز استخدام لغة اسلامية احساسهم بالحرمان ودعم الحركة. (٧)

ولكن حتى التيار السائد من الاسلام، في أشكاله الشعبية على الاقل، لا يشكل مجموعة متجانسة من الافكار. فقد أدى انتشار الدين الإسلامي ليشمل كامل المنطقة من ساحل الاطلنطى في الشمال الغربى لافريقيا الى مضيق البنغال الى احتواء شعوب داخل المجتمع الإسلامي أدخلت على الاسلام الكثير من ممارساتها الدينية القديمة، حتى وان تناقض هذا مع بعض مبادئ الاسلام " الحقيقى ". لذلك غالبا ما يحتوى الاسلام الشعبى على فرق للقديسين (المشايخ) المحليين أو الاثار المقدسة برغم أن الاسلام العقائدى يعتبر مثل هذه الممارسات وثنية لا تحترم المقدسات. وانتشرت الطرق الصوفية، برغم أنها لا تشكل منافسا رسميا للاسلام السائد، مؤكدة على الجانب الاسطورى والغيبى الذى يعترض عليه الكثير من الاصوليين. (٨)

في ضوء ذلك، فان أى دعوة للعودة الى ممارسات عصر النبى ليست في الواقع دعوة للحفاظ على الماضى ولكن دعوة لاعادة تشكيل سلوك الناس على شئ ما مختلف تماما.

كان هذا صحيحا بالنسبة لحركة الاحياء الإسلامي على مدى القرن الماضى. فقد نشأت كمحاولة لاستيعاب الاحتلال المادى والتحول الثقافي لآسيا وشمال افريقيا من قبل أوروبا الرأسمالية. فقد نادى زعماء هذه الحركة بأن هذا كان ممكنا فقط لأن القيم الإسلامية قد شوهت بسبب المطامع الدنيوية للامبراطوريات العظمى في القرون الوسطى. وكان الاحياء ممكنا فقط ببعث روح اسلام مرحلة التأسيس التى عبر عنها الخلفاء الاربعة الأوائل (أو الى عبر عنها على بالنسبة للشيعة). وعلى سبيل المثال، كانت هذه الروح هى التى مكنت الخومينى من الانكار الفعلى لكل التاريخ الإسلامي خلال ال ١٣٠٠ عام الماضية:

"لسوء الحظ، استمر الاسلام الحقيقى لمدى بسيطة فقط بعد نزوله. عانى الاسلام في ظل الامويين (أول حكم عربى وراثى بعد على) ثم العباسيين (الذين هزموهم في عام ٧٥٠ ميلادية) من كافة أشكال التشويه. وبد ذلك استمر الملوك الذين حكموا ايران على نفس المنوال. لقد شوهوا الاسلام تماما وأقاموا شيئا آخر مختلفا في مكانه." (٩)

هكذا، فرغم أن الافكار الإسلامية تقدم على أنها نظرية تقليدية تقوم على رفض العالم الحديث، من قبل كل من المدافعين عنها ومعارضيها، فان الامر في الواقع أكثر تعقيدا من ذلك. فالتطلع الى اعادة خلق ماضى اسطورى يتضمن عدم ترك المجتمع الحالى كما هو، ولكن تدميره. والاكثر من ذلك، لا يمكن أن يهدف هذا التدمير الى انتاج نسخة كربونية من اسلام القرن السابع عشر، حيث لا يرفض الإسلاميون كل ملامح المجتمع الحالى. فهم، على أى حال يقبلون الصناعة الحديثة، والتكنولوجيا، والكثير من العلوم التى تعتمدا عليها– والحقيقة أنهم يرون أن الاسلام، كنظرية أكثر عقلانية وأقل خرافة من المسيحية، يتناسب أكثر مع العلم الحديث. ولذلك فان زعماء الصحوة الإسلامية في الواقع يحاولون تقديم شئ ما لم يوجد أبدا من قبل، يصهر الموروثات القديمة مع أشكال الحياة الاجتماعية الحديثة.

هذا يعنى أنه من الخطأ اعتبار كل الإسلاميين ببساطة رجعيين، أو مساواة الاصولية الإسلامية ككل بأشكال الاصولية المسيحية التى تشكل حصن الجناح اليمينى في الحزب الجمهورى في الولايات المتحدة. ربما يستخدم زعماء مثل الخومينى، وزعماء جماعات المجاهدين المتصارعة في أفغانستان، أو قادة جبهة الانقاذ الإسلامية في الجزائر، نظريات تقليدية ويشكلوا عنصر جذب لحنين الطبقات الاجتماعية المتجهة الى الفناء الى الماضى، ولكنهم أيضا عنصر جذب للتيارات الثورية الناتجة عند تحويل الرأسمالية للمجتمع، ويذكر أوليفر روى في حديثه عن الإسلاميين الافغان أن:

" الاصولية مختلفة تماما (عن التقليدية): فتكون الاهمية القصوى بالنسبة للاصولية للعودة الى النصوص الدينية، مع تجنيب التباسات التراث. وتسعى دائما الى العودة الى حالة سابقة، وتتميزباعادة قراءة النصوص والبحث عن الاصول. وتعتبر عدوها التراث وليس الحداثة، أو بالاحرى، بالنسبة للاسلام، كل ما هو ليس تراث النبى. ان الاصولية اصلاح حقيقى للدين".(١٠)

ان الاسلام التقليدى أيديولوجية تسعى للابقاء على نظام اجتماعى يدمره التطور الرأسمالى– أو على الاقل، الانتساب الى هذا النظام من أجل اخفاء تحول طبقة حاكمة قديمة الى رأسمالية حديثة، كما حدث بالنسبة للنموذج الذى طورته العائلة المالكة في السعودية. الاسلام أيديولوجية تحاول تغيير المجتمع وليس الحفاظ على نمط الحياة القديم، برغم أنها تتفق مع نفس مبادئ اسلام الرسول. ولهذا السبب، حتى اصطلاح الاصولية ليس مناسبا بشكل حقيقى. وكما يلاحظ ابراهيميان:

"يتضمن اصطلاح " الاصولية" عدم مرونة دينية ونقاء ثقافي، وفكر سياسى تقليدى، بل ورؤية اجتماعية محافظة تقوم على محورية المبادئ النظرية للنصوص الدينية. ان الاصولية تتضمن رفض العالم الحديث" (١١)

ولكن الحركات المشابهة لحركة الخومينى في ايران تستند في الواقع على مواءمة أيديولوجية ومرونة ثقافية مع تمرد سياسى ضد النظام القائم، وقضايا اجتماعية واقتصادية تشعل المعارضة الجماهيرية للوضع القائم. (١٢)

وبرغم ذلك، غالبا ما يوجد لبس حول الفروق بين الايديولوجية الإسلامية والايديولوجية التقليدية. وبالذات لأن نظرية الاحياء الاجتماعى مغلفة في لغة دينية، فهى قابلة لتفسيرات مختلفة. ومن الممكن أن تعنى فقط القضاء على "السلوكيات السيئة" من خلال العودة الى أشكال السلوك المفترض أنها سبقت " تشويه " الاسلام الناتج عن "الاستعمار الثقافي". ويكون التشديد بالتالى على " احتشام " المرأة وارتداء الحجاب، ونهاية الاختلاط " الغير منظم " بين الجنسين في المدارس وأماكن العمل، ومعارضة الموسيقى الشعبية الغربية، وهكذا. وهكذا استطاع على بلحاج، أحد القادة ذوى الشعبية الكبيرة في جبهة الانقاذ الإسلامية الجزائرية، أن يستنكر " العنف " ضد المسلمين الناتج عن " الاحتلال الثقافي ":

" نعتقد نحن المسلمون أن أخطر أشكال العنف الذى نعانيه ليس العنف الجسدى، فنحن مستعدون له... بل العنف الذى يمثل تحديا للمجتمع الإسلامي من خلال فرض التشريع الشيطانى بدلا من الشريعة.

هل هناك عنف أشد من ذلك الذى يتمثل في احلال ما حرم الله؟ وفتح مؤسسات لصناعة الخمور (عمل الشيطان) يحميها البوليس؟ هل يمكن الاعتقاد في أى عنف أشد من عنف تلك المرأة التى تحرق الحجاب في مكان عام وأمام عيون الجميع، معلنة أن قانون الأسرة يضطهد المرأة وتجد من يؤيدها من المتشبهين بالنساء وأنصاف الرجال والمتحولين جنسيا.

ليس من العنف مطالبة المرأة بالمكوث في البيت، في جو من الطهر والحماية والتواضع وخروجها فقط في حالات الضرورة التى يحددها المشرع، أو المطالبة بالفصل بين الجنسين بين طلبة المدارس، ومنع هذا الاختلاط المشين الذى يسبب العنف الجنسى." (١٣)

ولكن الاحياء يمكن أن يعنى أيضا تحدى الدولة وعناصر السيطرة السياسية للامبريالية. هكذا أغلق الإسلاميون الايرانيون أكبر محطة اذاعة للولايات المتحدة في آسيا واحتلوا سفارتها. ولعب حزب الله في الجنوب اللبنانى ومنظمة حماس في الضفة الغربية وغزة دورا رئيسيا في الصراع المسلح ضد اسرائيل. ونظمت جبهة الانقاذ الإسلامية الجزائرية مظاهرات ضخمة ضد حرب الولايات المتحدة ضد العراق برغم انهم فقدوا التمويل السعودى نتيجة لذلك. بل أن الاحياء يمكن أن يعنى، في حالات معينة، تأييد الصراع المادى ضد استغلال العمال والفلاحين، كما فعل المجاهدون الايرانيون في ٧٩-١٩٨٢.

من الطبيعى أن تجذب التفسيرات المختلفة للاحياء هؤلاء الذين ينتمون الى طبقات مختلفة. ولكن الخطاب الدينى يمكنه أن يمنع معرفة الفروق بين هؤلاء المنخرطين فيه وبعضهم البعض. ففي حمية الصراع يستطيع الافراد الخلط بين المعانى، كذلك يبدو الصراع ضد تبرج المرأة كصراع ضد شركات البترول الغربية والبؤس الشديد لجماهير الشعب.

هكذا في الجزائر في أواخر الثمانينات بلحاج:

"جعل من نفسه صوتا لكل أولئك الذين ليس لديهم ما يفقدونه.. ودعا الى التطبيق الحازم لاوامر الاسلام من خلال فهمه له في أنقى صورة دينية. أعلن بلحاج في كل يوم جمعة الحرب على العالم ككل.وكان الهدف المفضل لخطبته الاسبوعية اليهود والمسيحيين والصهاينة والشيوعيين والعلمانيين والليبراليين والماديين، وحكومات الشرق والغرب، ورؤساء الدول عرب أو مسلمين وأعضاء الاحزاب المتفرنجة والمثقفين. "(١٤)

وبرغم ذلك، يوجد خلف هذا التخبط في الافكار مصالح طبقية حقيقية مؤثرة.

الاساس الطبقى للحركة الإسلامية

ظهرت الحركة الإسلامية في مجتمعات عانت نتيجة لتأثير الرأسمالية – أولا في شكل الاحتلال الخارجى من قبل الامبريالية، ثم من خلال التحول في العلاقات الاجتماعية الداخلية المصاحبة لظهورطبقة رأسمالية محلية وتأسيس دولة رأسمالية مستقلة.

حلت طبقات اجتماعية جديدة محل الطبقات القديمة، برغم أن ذلك لم يحدث فورا أو بشكل واضح تماما. لقد تحقق ما وصفه تروتسكى أنه " التطور الموحد غير المتكافئ ". وقد تراجع الاستعمار في الخارج، ولكن استمرت القوى الامبريالية العظمى – خاصة الولايات المتحدة– في استخدام قواتها العسكرية كأداة مساومة للسيطرة على انتاج البترول، المورد الرئيسى والوحيد للشرق الاوسط. وفي الداخل، أدى تشجيع الدولة – وغالبا ملكيتها – الى تطوير بعض الصناعات الحديثة ذات الحجم الكبير، ولكن استمرت قطاعات كبيرة من الصناعة التقليدية، تعتمد على عدد هائل من الورش الصعيرة حيث يعمل المالك مر اثنين من العمال، غالبا من عائلته. وقد حول الاصلاح الزراعى بعض الفلاحين الر رأسمالية زراعية حديثة – ولكنه أزال عددا أكثر بكثير، تاركا اياهم بملكيات صغيرة أو بدون أرض، وهكذا دفعهم ال محاولةكسب العيش من خلال العمل الاضافي غير الثابت في الورش أو أسواق المناطق الحضرية القذرة في الاطراف. وانتج التوسع الهائل في نظام التعليم عددا ضخما من خريجى الكليات والمدارس العالية، ولكن لا يجد هؤلاء بعد ذلك فرص عمل كافية في القطاعات الجديثة من الاقتصاد ويضعون آمالهم في الدخول الى بيروقراطية الدولة، بينما يحاولون الكسب الاضافي بعمل صغير حول القطاع غير الرسمى– بير السلع العادية من الدكاكين، العمل كمرشدين للسياح، بيرع تذاكر اليانصيب، قيادة تاكسيات.... وغيرها.

فاقمت ازمات الاقتصاد العالمى على مدار العشرين عاما الماضية كل هذه التناقضات. وجدت الصناعات الحديثة الاقتصاد الوطنى صغيرا جدا بالنسبة لها للعمل بكفاءة، ولكن المنافسة في السوق العالمى قوية جدا بالنسبة لها للبقاء بدون حماية الدولة. وكانت الصناعات التقليدي بشكل عام غير قادرة على التحديث بدون دعم الدولة ولا يمكنها التعويض عن فشل الصناعة الحديثة في توفير فرص عمل لسكان المدن المتزايدين باستمرار. ولكن قطاعات قليلة استطاعات اقامة صلات خاصة بها مع رأس المال العالمى وزاد امتعاضها من سيطرة الدولة على الاقتصاد. وتزايد تلهف أغنياء المدن على البضائع الفاخرة المتوفرة في السوق العالمية، مما زاد من التذمر بين العمال غير الثابتين والعاطلين عن العمل.

تمثل الحركة الإسلامية محاولة لاستيعاب هذه التناقضات بواسطة أشخاص تربوا على احترام الافكار الإسلامية التقليدية. ولكنها لا تجد تأييدا متساويا من كل قطاعات المجتمع. لأن بعض القطاعات تعتنق ايديولوجية قومية برجوازية علمانية حديثة، بينما قطاعات أخرى تميل نحو شكل ما من وجهة نظر طبقة عاملة علمانية. ويجد الاحياء الإسلامي مساندة من أربع شرائح اجتماعية مختلفة – تفسر كل منها الاسلام بطريقتها الخاصة.

١– الرؤية الإسلامية للمستغلين القدماء:

أولا يوجد هؤلاء أعضاء الطبقات التقليدية المتميزة الذين يخافون الضياع في التحديث الرأسمالي للمجتمع – وخاصة ملاك الاراضى بما فيهم رجال الدين الذين يعتمدون على عوائد الاراضى المملوكة للمؤسسات الدينية، والتجار الرأسماليين التقليديين، وأصحاب العدد الهائل من المحلات الصغيرة والورش. مثل هذه الشرائح غالبا كانت المصدر التقليدى للتمويل بالنسبة للمساجد ويرون الاسلام طريقة للدفاع عن نمط حياتهم القائم وجعل هؤلاء الذين يترقبون التغيير يستمعون الى أصواتهم. هكذا في ايران

والجزائر كانت هذه الشرائح هى التى وفرت التمويل لرجال الدين لمعارضة برنامج الاصلاح الزراعى للدولة في الستينات والسبعينات.

٢-الرؤية الإسلامية للمستغلين الجدد:

ثانيا، بعض الرأسالميين، غالبا ظهروا من بين الشريحة الأولى، الذين حازوا النجاح برغم عداء تلك الشرائح التى لها علاقات مع الدولة. مثلا في مصر، شق الاخوان المسلمون الحاليون طريقهم داخل النسيج الاقتصادى لمصر السادات في وقت كانت قطاعات كاملة منه قد تحولت الى رأسمالية غير منظمة. وقد كشف عثمان احمد عثمان، روكفلر المصرى، عن تعاطفه مع الاخوان. (١٥)

وفي تركيا يتمتع حزب الرفاه، الذى يقوده عضو سابق في الحزب المحافظ الرئيسى، بتأييد عدد كبير من أصحاب رؤوس الاموال متوسطة الحجم. وفي ايران كان من بين البازاريين الذين أيدوا الخومينى ضد الشاه عدد كبير من الرأسماليين المتذمرين من الطريق التى تميز بها السياسات الاقتصادية أولئك الرأسماليين القريبين من التاج.

٣-الرؤية الإسلامية للفقراء:

المجموعة الثالثة هم فقراء الريف الذين عانوا في ظل تقدم الزراعة الرأسمالية والذين دفعوا الى المدن للبحث المستميت عن عمل. وهكذا في الجزائر من بين اجمالى سكان الريف البالغين ٨,٢ مليون استفاد ٢ مليون فقط من الاصلاح الزراعى. وكان على الستة ملايين الاخرين مواجهة الاختيار بين البؤس المتزايد في الريف أو الذهاب الى المدن للبحث عن عمل(١٦). ولكن في المدن " ادنى شريحة اجتماعية تتشكل من الكتلة الصلبة من العاطلين المكونين من الفيحين السابقين النازحين الذين أغرقوا المدن بحثا عن عمل وفرصة اجتماعية، منفصلين عن المجتمع الريفي دون أن يندمجوا اندماجا حقيقيا في المجتمع الحضرى". (١٧)

فقد هؤلاء ثوابت الحياة القديمة، تلك الثوابت التي ارتبطت عندهم بالثقافة الإسلامية التقليدية دون أن تحل محلها ظروف مادية آمنة أو حياة مستقلة ، " . لم يعد هناك إرشادات واضحة للسلوك والإيمان لملايين الجزائريين الذين يقعون الآنبين تقاليد لم تعد إرشادات واضحة للسلوك والإيمان لملايين الجزائريين الذين يقعون الآن بين تقاليد لم تعد تحوز على ولائهم الكامل وبين حداثة لا يمكنها أن تلبي احتياجاتهم النفسية والروحية وخاصة الشباب منهم " (١٨)

في مثل هذا الموقف، حتى التحريض الإسلامي ضد الاصلاح الزراعى لصالح ملاك الاراضى القدماء في السبعينات استطاع جذب الفلاحين والفلاحين السابقين. لأن الاصلاح الزراعى كان رمزا لتحول الريف الذى دمر اسلوبا آمنا، وان كان بائسا، في الحياة. بالنسبة لملاك الارض والفلاحين الذين لا يملكون أراضى، يقدم الإسلاميون نفس الطرح: لقد حرم القرآن مصادرة ما يملك الآخرون، وهو يوصى الاغنياء والحكام حسب السنة بالكرم مع الآخرين. (١٩)

تزايدت شعبية الحركة الإسلامية خلال الثمانينات حيث فاقمت الأزمة الاقتصادية التناقض بين جماهير الفقراء والصفوة التى تشكل حوالى ١% في السكان الذين يسيطرون على الدولة والاقتصاد. ولم تتناسب ثروتهم واسلوب حياتهم الغربى مع ادعائهم بأنهم ورث صراع التحرر ضد الفرنسيين. وكان من السهل جدا أن يرى الفلاحون السابقون السلوك " الغير اسلامى " لهذه الصفوة كسبب لبؤسهم.

وكذلك في ايران، استفاد من التحول الرأسمالى للزراعة المتمثل في الاصلاح الزراعى الذى قام به الشاه في الستينات عدد قليل من الكادحين، بينما ترك الباقون في حالة ليست أفضل مما سبق وأحيانا أسوأ. وقد زاد من عداء الفقراء الريفيين وكذلك النازحين الى الحضر حديثا ضد الدولة – العداء الذى لم يسبب أى ضرر للقوى الإسلامية التى عارضت الاصلاح الزراعى. لذلك عندما استخدم الشاه قوة الدولة في عام ١٩٦٢ مثلا ضد زعماء الإسلاميين، جعل ذلك منهم مركزا لتذمر أعداد كبيرة من الناس.

في مصر زاد الانفتاح الاقتصادى على السوق العالمى من خلال الاتفاقيات مع البنك الدولى وصندوق النقد الدولى منذ منتصف السبعينات وما بعدها من سوء أوضاع جماهير الفلاحين والفلاحين السابقين بشكل هائل، مما أدى الى تزايد الشعور بالعداء والمرارة.وفي أفغانستان أدى الاصلاح الزراعى الذى فرض بعد الانقلاب الذى قام به الحزب الشيوعى في ١٩٧٨ الى سلسلة من الانتفاضات العفوية من كل قطاعات السكان الريفيين:

" قضت الاصلاحات على الاساليب التقليدية للعمل التى تعتمد على المصلحة المتبادلة، دون تقديم أى بديل. حرص ملاك الاراضى الذين صودرت ممتلكاتهم على عدم توزيع آية بذور لمزارعيهم، والاشخاص الذين كانوا على استعداد لتقديم القروض يرفضون ذلك الان. وكانت هناك خطط لانشاء بنك للتنمية الزراعية وتأسيس مكتب لمراقبة توزيع البذور والاعلاف، ولكن لم يتم أيا من ذلك عندما بدأت الاصلاحات فعليا. لذلك كان الاعلان عن الاصلاح الزراعى نفسه هو الذى حرم الفلاحين من امدادات الحبوب. ولم يدمر الاصلاح الهيكل الاقتصادى فقط وانما دمر أيضا كامل الاطار الاجتماعى لعملية الانتاج. لذلك لم يكن غريبا أنه بدلا من أن تضع هذه الاصلاحات ٩٨% من الشعب في مواجهة ٢% من الطبقات المستغلة، أدت الى تمرد عام في ٧٥% من المناطق الريفية. وعندما بدا أن النظام الجديد غير صالح، حتى الفلاحين الذين رحبوا في البداية به شعروا بأنه من الافضل العودة الى النظام القديم." (٢٠)

ولكن لم يكن العداء للدولة فقط هو الذى جعل الفلاحين السابقين مستعدين لتقبل وجهة نظر الإسلاميين. فالمساجد تقدم مركزا اجتماعيا لأناس ضاعوا في مدينة جديدة وغريبة، وكذلك الجمعيات الخيرية الإسلامية والخدمات الاجتماعية الضرورية (العلاجية والتعليمية.. الخ) التى لم توفرها الدولة. لذلك كان تزايد أعداد المدن في الجزائر في السبعينات والثمانينات مصحوبا بزيادة هائلة في أعداد المساجد: " حدث كل شئ كما لو كان التأخر في عمليتى التعليم والتعريب، وغياب المؤسسات الثقافية وأماكن قضاء وقت الفراغ، وعدم توافر الحريات العامة، ونقص المساكن، جعل ألاف من البالغين والشباب والاطفال يهربون الى المساجد".(٢١)

في هذا السياق، تمكنت الارصدة التى قدمها هؤلاء الذين تتناقض مصالحهم تماما مع الجماهير– طبقة ملاك الاراضى القديمة، والاغنياء الجدد أو حكومة السعودية – من توفير كل من الملاذ الثقافي والمادى للفقراء. ففي المسجد يرى الجميع – برجوازى عصرى أو تقليدى، أصولى، أو عامل في مؤسسة كبيرة – امكانية تحسين أوضاعه وتحقيق أهدافه الخاصة وأحلامه وآماله". (٢٢)

لم يقض ذلك على التقسيمات الطبقية تماما داخل المسجد. ففي الجزائر مثلا، كان هناك خلافات عديدة بين أناس جعلتهم أصولهم الطبقية المختلفة ينظرون الى المساجد بطرق مختلفة – مثلا الاختلاف حول عدم قبول تبرعات للمسجد لانها جاءت من مصدر حرام. " وفي الواقع، نادرا ما استكملت لجنة دينية مدتها، المحددة مبدأيا بسنتين، بالانسجام والاتفاق الذين توصى بهما جماعة الاله الواحد التى يتغنى بها المؤذنون دون توقف"(٢٣). ولكن هذه الخلافات ظلت مغلفة بعباءة دينية اهرية – ولم توقف انتشار المساجد وتزايد تأثير الحركة الإسلامية.

٤-الرؤية الإسلامية للطبقة الوسطى الجديدة:

وبرغم ذلك، ليست الطبقات المستغلة التقليدية ولا جماهير الفقراء هى التى تمثل العنصر الحيوى الذى يؤيد الاحياء والاسلام السياسى – أى الكوادر الفعالة الذين يقومون بالدعاية لافكاره والمخاطرة بالاصابة أو السجن أو الموت في المواجهة مع أعدائه.

فالطبقات المستغلة التقليدية بطبيعتها محافظة جدا. وهى على استعداد للتبرع بالاموال حتى يقاتل الآخرون- خاصة للدفاع عن مصالحها المادية. وقد فعلت ذلك عندما ووجهت بالاصلاح الزراعى في الجزائر في أوائل السبعينات، وعندما هاجم النظام البعثى في سوريا مصالح تجار المدن في مطلع الثمانينات، (٢٤) وعندما شعر التجار وصغار رجال الاعمال الايرانيين بأنهم عرضة لهجمات الشاه في ٧٦-١٩٧٨ وبتهديد اليسار لهم في ٧٩-١٩٨١. ولكنهم يخافون أن تتعرض مشاريعهم للخطر، ناهيك عن حياتهم نفسها. ولذلك، لايمكن أن يكونوا تلك القوة التى مزقت مجتمعات مثل مصر والجزائر، وتسببت في انتفاضة بلدة حاما بكاملها في سوريا، وقامت بالعمليات الانتحارية ضد الامريكيين والاسرائيليين في لبنان – وتسببت في أن تأخذ الثورة الايرانية منحى أكثر راديكالية بكثيرمما هو متوقع من أى قطاع آخر من البرجوازية الايرانية.

مصدر هذه القوة في الواقع هو طبقة رابعة مختلفة تماما – قطاع من الطبقة الوسطى الجديدة التى نشأت نتيجة للتحديث الرأسمالى لكل بلاد العالم الثالث.

في ايران جاءت كوادر الحركات الإسلامية الثلاثة التى سيطرت على سياسات السنوات الاولى من الثورة من هذه الاصول. هكذا تبين احدى وجهات النظر القاعدة الجماهيرية لأول رئيس وزراء بعد الثورة – أى بازارجان:

"مع توسع نظام التعليم في ايران في الخمسينات والستينات، استطاعت حتى المجموعات الكبيرة من الطبقة الوسطى التقليدية دخول الجامعات. وقد شعر هؤلاء المتعلمون الجدد بحاجة ماسة لتبرير استمرار تماسكهم حول الاسلام لانفسهم عندما ووجهوا بالمؤسسات التى يسيطر عليها الصفوة القديمة المتفرنجة. فانضموا الى جمعيات الطلاب المسلمين (التى ينظمها بازارجان).. وعند الدخول الى حياة الوظيفة، كان المهندسون غالبا ما ينضمون الى جمعيات المهندسين الإسلامية، التى أسسها أيضا بازارجان. وقد شكلت شبكة الجمعيات هذه فعلا القاعدة الاجتماعية المنظمة لبازارجان وحركة التحديث الإسلامية.. اعتمدت دعوة بازارجان وتاليقانى على اسلوب تنمية الشعور بالكرامة لدى أعضاء الطبقات الوسطى التقليدية الناشئين والذى ساعدهم على اثبات هويتهم في مجتمع تسيطر عليه سياسيا ما يطلقون عليهم النخبة المتفرنجة والملحدة والفاسدة ".(٢٥)

علق ابراهيميان حين كتب عن مجاهدى الشعب في ايران أن دراسات عديدة عن السنوات الأولى للثورة الايرانية:

تحدثت عن جاذبية الاسلام الراديكالى بالنسبة 'للمقهورين'، ولكن لم يكن المقهورون عموما هم الذين يشكلون قاعدة المجاهدين، ولكنها تشكلت من القطاع الواسع من الطبقة الوسطى الجديدة الذين ينتمون الى أسر كانت جزءا من البرجوازية الصغيرة التقليدية. وقدم تحليلات للمواقع الطبقية للمجاهدين الذين قبض عليهم في ظل الشاه وتعرضوا للاضطهاد في ظل الخومينى لتأييد وجهة نظره".(٢٦)

وبرغم أن القوة الإسلامية الثالثة، أى حزب الخومينى الجمهورى الإسلامي المنتصر، عادة ما يشار الى أنه يدار من خلال المؤسسات الدينية المرتبطة بالبازاريين – الرأسمالية التجارية التقليدية – فقد كشف موعادل أن أكثر من نصف أعضائه كانوا

من المهنيين، والمدرسين، وموظفي الحكومة أو الطلاب – حتى وان كان ربعهم ينتمون الى عائلات البازاريين. (٢٧) وقد لاحظ بايات أن النظام اعتمد على المهندسين الذين يعملون في المصانع في حملته للقضاء على المنظمات العمالية في المصانع. (٢٨)

وتعلق أزار تبارى أنه بعد سقوط الشاه اختارت أعداد كبيرة من النساء في المدن الايراني ارتداء الحجاب واصطفوا ضمن أتباع الخومينى ضد اليسار . وأعلنت أن تلك النساء كن ينتمين الى ذلك القطاع من الطبقة الوسطى الذى يشكل الجيل الاول الذى يعانى عملية' الاندماج الاجتماعى '. لقد دفعت تلك النساء، اللاتى غالبا ما كن ينتمين الى عائلات من البرجوازية الصغيرة التقليدية، الى التعليم العالى حيث تدهورت فرص الكسب التقليدية بالنسبة لعائلاتهن مع التصنيع. وتوفرت لهن فرصة العمل في مهن مثل التعليم والتمريض. ولكن " كان على تلك النساء أن يعانين من التجربة المؤلمة غالبا لتأقلم الجيل الأول":

"عندما بدأت شابات من هذه العائلات في الذهاب الى الجامعة أو العمل في المستشفيات، تعرضت كل المفاهيم التقليدية لهجوم يومى من محيط الغرباء، حيث تختلط النساء مع الرجال، ولا يرتدين الحجاب، وأحيانا ما يرتدين حسب آخر مودة أوروبية. وغالبا كانت النساء مشتتات بين التقاليد العائلية الثابتة وضعوط البيئة الجديدة. فلا يمكنهن ارتداء الحجاب في العمل، ولا يمكنهن مغادرة المنزل بدون الحجاب."

وكان أحد ردود الفعل الشائعة لهذه الضغوط المتناقضة هو "التراجع نحو الاسلام"، وقد عبرت عن ذلك مظاهرات قامت بها نساء مختمرات بشكل متزمت أثناء التحريك الكبير". وأعلنت تبارى أن هذا الرد كان يتناقض بشكل واضح مع موقف النساء اللاتى ينتمين الى عائلات كانت جزءا من الطبقة المتوسطة الجديدة لمدة جيلين أو ثلاثة أجيال، واللاتى رفضن ارتداء الحجاب وانضممن الى الليبراليين أو اليساريين (٢٩) . وفي أفغانستان يلاحظ روى:

"ولدت الرؤية الإسلامية بين القطاعات الحديثة من المجتمع وتطورت من انتقاد الحركة الشعبوية التى سبقتها.. ان الإسلاميين مثقفون، ونتاج لأحدث بقاع المجتمع التقليدى، وأصولهم الاجتماعية هى ما اصطلحنا على تسميتها ببرجوازية الدولة – وهم نتاج نظام التعليم الحكومى الذى يؤدى فقط الى التوظف في آلة الدولة.. ان الإسلاميين نتاج النظام التعليمى للدولة. وقليل جدا منهم حصوا على تعليمهم في مجال الفنون. وفي ساحة الجامعة، يختلط معظمهم مع الشيوعيين، الذين يتعارضون معهم بعنف، فضلا عن اختلافهم مع العلماء(المتدينين الاكاديمين) الذين يحملون نحوهم شعورا متناقضا. فهم يشتركون في كثير من المعتقدات مع العلماء، ولكن الفكر الإسلامي تطور من خلال الاتصال بالايديولوجيات الغربية الكبرى، التى يرون أنها تشكل مفتاح التطور التكنولوجى للغرب. وبالنسبة لهم، فان المشكلة هى تطوير أيديولجية سياسية حديثة تكون قاعدتها الاسلام، ويرون أن ذلك هو السبيل الوحيد لفهم العالم الحديث والوسيلة الافضل لمواجهة الاستعمار الاجنبى". (٣٠)

ان أهم مصدر للتجنيد بالنسبة لجبهة الانقاذ الإسلامية في الجزائر هو طلبة المدارس الثانوية والجامعات المتحدثون بالعربية (كنقيض للفرنسية)، وذلك القطاع الواسع من الشباب الذين يرغبون في التعليم العالى ولكن لم يستطيعوا الحصول على مكان بالكليات:

" تجند جبهة الانقاذ الجزائرية أعضاءها من ثلاث قطاعات من السكان: من طبقة التجار المتوسطين، بالاضافة الى بعض الاغنياء منهم، وشباب العاطلين الذين حرموا من التعليم العالى، ويشكلون حثالة البروليتاريا الجديدة في الشوارع، ومن شريحة من المثقفين المتحدثين بالعربية والمتطلعين لأعلى. والمجموعتان الاخيرتان هما الأكثر عددا وأهمية". (٣١)

لقد بنى المثقفون الإسلاميون مركزهم الاجتماعى من خلال سيطرتهم على كليات اللغة العربية والدراسات الدينية في الجامعات، مستخدمين اياها للسيطرة على وظائف عديدة كأئمة للمساجد ومعلمين في المدارس الثانوية (الليسيه). ويشكلون شبكة لضمان ندب اسلاميين آخرين في مثل هذه الوظائف لغرس الافكار الدينية في عقول الجيل الجديد من الطلاب. وبالتالى يتمكنون من التأثير على عدد هائل من الشباب.

ويكتب أحمد روعاديا أن الجماعات الإسلامية بدأت في النمو من منتصف السبعينات وما بعدها، وتمتعوا بتأييد الطلاب المتحدثين بالعربية في الجامعات الذين تسبب عدم تمكنهم من الفرنسية في حرمانهم من الحصول على وظائف في الادارة، ومجالات التكنولوجيا المتقدمة والادارة العليا (٣٢)

. هكذا مثلا، هب صراع مرير مع رئيس جامعة قسطنطين في منتصف الثمانينات، الذى اتهم بالتشكك في "سمو اللغة العربية " و" الولاء للاستعمار الفرنسى " لسماحه باللغة الفرنسية بالاستمرار كلغة أولى في الكليات التكنولوجية والعلمية. (٣٣)

" بجد أصحاب المؤهلات من المتحدثين بالعربية صعوبة في الدخول في كل القطاعات الهامة، وقبل كل شئ تلك الصناعات التى تتطلب المهارات الفنية واللغات الاجنبية... ولا يستطيع المتحدثون بالعربية، حتى وان حصلوا على دراسات عليا، الحصول على مكان في الصناعة الحديثة. وينتهى غالبيتهم الى التوجه نحو المساجد". (٣٤)

ويشكل الطلاب، من الخريجين الجدد المتحدثين بالعربية، والاهم، الطلاب السابقون العاطلون عن العمل جسرا الى الاعداد الهائلة من الشباب الساخط خراج الكليات الذين لم يستطيعوا الحصول على أماكن في الكليات برغم قضاء سنوات في نظام تعليم فاشل وفقير. هكذا، برغم وجود حوالى مليون طالب الآن في التعليم الثانوى، يتوقع أربعة أخماسهم الرسوب في الثانوية العامة (البكالوريا) – شرط دخول الجامعة – ومواجهة حياة غير آمنة على هامش الوظيفة. (٣٥)

"تكتسب التوحيدية – أى النظرية الإسلامية – قوتها من السخط الاجتماعى الذى يعانيه جزء كبير من الشباب، الساقط من حسابات النظام الاجتماعى والاقتصادى. وهى تطرح طرحا بسيطا: اذا كان هناك غضب وفقر ومعاناه، فالسبب أن من يسيطرون على السلطة لا يلتزمون بمبدأ الشورى الشرعية، ولكن يعتمدون على القوة.. وأن اعادة تطبيق اسلام السنوات الأولى سوف يقضى على كل أشكال عدم المساواة". (٣٦)

وبسبب تأثيرها على شريحة واسعة من الطلاب والخريجين والعاطلين عن العمل والمثقفين، تستطيع الرؤية الإسلامية أن تنتشر وتسيطر على وسائل الدعاية في الاكواخ والاحياء القذرة حيث يعيش الفلاحون السابقون. حركة كهذه لا يمكن وصفها بحركة " محافظة ". لأن الشباب المتعلم المتحدث بالعربية لا يتجه الى الاسلام لأنه يريد أن يظل الوضع كما هو عليه، ولكن لأنه يظن أن الاسلام يطرح تغييرا اجتماعيا شاملا. (٣٧)

تطورت الحركة الإسلامية في مصر بداية منذ ٦٥ عاما، عندما أسس حسن البنا جماعة الاخوان المسلمين. وقد نمت في الثلاثينات والاربعينات عندما بدأت في الانتعاش بعد فشل حزب الوفد الوطنى العلمانى في تحدى السيطرة البريطانية على البلاد. تشكلت قاعدة الحركة أساسا من موظفي الخدمة المدنية والطلاب، وكانت احدى القوى الهامة في حركات التمرد في الجامعة في أواخر الاربعينات وأوائل الخمسينات. (٣٨) ولكنها انتشرت لتضم اليها بعض عمال المدن والفلاحين، بعضوية قدرت بأنها وصلت الى نصف مليون. في سياق بناء الحركة كان البنا على استعداد تام للتعاون مع شخصيات معينة قريبة من الملكية المصرية، وقد رأى الجناح اليمينى في الوفد في الاخوان المسلمين حركة مضادة لنفوذ الشيوعيين بين العمال والطلبة.(٣٩)

ولكن الاخوان المسلمين لم يستطيعوا المنافسة مع الشيوعيين الا في الحصول على تأييد فقراء الطبقات الوسطى – ومن خلالهم الى قطاعات من فقراء المدن – لأن لغتها الدينية كانت تتضمن تبنيها لاصلاحات أبعد مما يرغب فيه حلفاؤها اليمينيون. وكانت أهدافها لا تتفق اطلاقا مع استمرار الاوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية القائمة والتى كانت الطبقات الحاكمة تدعمها. أكد هذا على " أن العلاقة بين الاخوان المسلمين والحكام المحافظين ستكون غير مستقرة وضعيفة جدا". (٤٠)

وبالفعل، فقد تم تدمير الاخوان تقريبا بمجرد أن تركزت السلطة الكاملة في أيدى النظام العسكرى الجديد الذى قام حول عبد الناصر في أوائل الخمسينات. فقد أعدم ستة من قادة الأخوان شنقا في ديسمبر ١٩٥٤ ودفع بالآلاف من أعضائها الى معسكرات التعذيب. وأدت محاولة احياء الحركة في منتصف الستينات الى اعدامات أكثر، ولكن، بعد موت عبد الناصر، سمح لها تابعيه السادات ومبارك بالتواجد بشكل شبه شرعى – على أساس أن تتجنب الجماعة قيادة أى مواجهة ضد النظام. وكانت قيادة ما يطلق عليه أحيانا " الاخوان المسلمين الجديد " على استعداد لتقبل هذه الشروط، متبعين رؤية رجعية معتدلة نسبيا، وحصلوا على مبالغ ضخمة من الاموال من أعضاء تم ترحيلهم الى السعودية في الخمسينات وحققوا رخاء ماديا من البترول. (٤١) وقد مكن ذلك الاخوان من طرح " نموذج بديل للدولة الإسلامية"، "ببنوكهم وخدماتهم الاجتماعية والتعليمية، ومساجدهم".(٤٢)

ولكن ذلك أدى أيضا الى فقدهم لسيطرتهم على الجيل الجديد من الراديكاليين الإسلاميين الذين نشأوا، كما نشأ الاخوان أنفسهم في الاصل، في الجامعات والقطاع الفقير من " الطبقة الوسطى الحديثة ". هؤلاء هم الإسلاميون الذين قاموا باغتيال السادات في ١٩٨١ ويشعلون الكفاح المسلح منذ ذاك ضد كل من الدولة والانتليجنتسيا العلمانية:

" عندما نتحدث عن الاصوليين في مصر، نعنى جماعة قليلة من الناس المعارضين حتى للاخوان المسلمين.. هذه الجماعات تتكون أساسا من الشباب. وهم شديدى النقاء، مستعدون للتضحية بحياتهم، وعمل أى شئ. ويستخدمون كقوة ضاربة لحركات مختلفة لانهم قادرون على القيام بالعمليات الارهابية." (٤٣)

شكلت تنظيمات الطلاب المسلمين، التى أصبحت القوة الاولى في الجامعات المصرية أثناء رئاسة السادات " المنظمات الجماهيرية الحقيقية الوحيدة للحركات الإسلامية ". (٤٤) وقد تزايدت كرد فعل للظروف داخل الجامعات والمستقبل البائس الذى يواجه الطلاب اذا تخرجوا:

"ارتفع عدد الطلاب من أقل من ٢٠٠٠٠٠ في ١٩٧٠ الى أكثر من نصف مليون في ١٩٧٧.. وفي غياب الموارد الضرورية، أدى توفير التعليم العالى المجانى لأكبر عدد ممكن من شباب البلاد الى تدهور نظام التعليم ". (٤٥)

ويمثل الزحام مشكلة، خاصة للطالبات اللاتى يتعرضن لكافة أشكال المضايقات في قاعات المحاضرات والاتوبيسات المزدحمة. واستجابة لهذا الموقف:

"حازت الجماعة الإسلامية قوتها الهائلة من خلال قدرتها على تفهم (هذه المشكلات) وطرح حلول فورية – مثلا، استخدام أرصدة اتحاد الطلاب لتشغيل خطوط مينى باص للطالبات(مع أولوية الطالبات اللاتى يرتدين الحجاب)، الدعوة الى الفصل بين البنات والشباب في قاعات المحاضرات، تنظيم مجموعات مراجعة للمناهج تتقابل في المساجد، اصدار طبعات رخيصة للكتب الضرورية ". (٤٦)

وحتى الخريجون لم يستطيعوا الافلات من البؤس المزمن لغالبية المجتمع المصرى:

" لكل خريج الحق في الحصول على وظيفة عامة. هذا الاجراء بالفعل هو مصدر البطالة المقنعةالهائلة في مكاتب الجهاز الادارة المتضخم، الذى يتقاضى فيه الموظفون مرتبات ضعيفة جدا.. ويستطيع الموظف الحصول على طعامه من خلال شراء المنتجات المدعومة من الدولة، ولكنه من غير المحتمل أن يرتفع فوق الحد الادنى للبقاء... وغالبا ما يكون لكل موظف في الدولة عمل ثانى أو ثالث... ويقضى عدد لايحصى من الموظفين في الدولة، الذين يجلسون في الصباح على المكاتب في واحدة أو أخرى من الوزارات العديدة، وقت الظهر في العمل كسباكين أو سائقى تاكسى، هى أعمال يؤدونها بصورة غير كاملة ربما يشغلها أيضا غير المتعلمين. ان الفلاحة الأمية التى تأتى الى المدينة لتعمل كخادمة للأجانب يدفع لها أقل أو أكثر من ضعف رابت معيد في الجامعة". (٤٧)

ان الطريق الوحيد للخروج من هذه المعضلة بالنسبة لمعظم الخريجين هو الحصول على عمل في الخارج، خاصة في السعودية أو دول الخليج. وليست هذه فقط هى الطريقة الوحيدة للتخلص من البؤس، بل انها بالنسبة لمعظم الناس الشرط المسبق للزواج في مجتمع حيث العلاقات الجنسية قبل الزواج نادرة.

استطاع الإسلاميون التعبيرعن هذه المشكلات بلغة دينية. وكما كتب كيبل عن أحد أعضاء الجماعات الإسلامية، ان موقفه لا يتضمن" التجرك كمتعصب للقرون الماضية.. فهو يضع يده – بطريقته الخاصة – على مشكلة ملحة من مشكلات المجتمع المصرى الحديث. (٤٨)

وكما حدث في الجزائر، بمجرد أن أقام الإسلاميون قاعدة جماهيرية في الجامعات، أصبحوا بعد ذلك في موقف يمكنهم من الانتشار في محيط أوسع – في شوارع المدن البائسة حيث يختلط الطلاب والخريجون مع جمهور آخر من الساعين الى كسب العيش. حدث ذلك بعد أن أحكم النظام قبضته بقوة على الحركة الإسلامية في الجامعات في أعقاب المفاوضات حول اتفاقية السلام مع اسرائيل في أواخر السبعينات. "قمع ذلك، بدلا من أن يتوقف نشاط الجماعة، منحهم هذا القمع دفعة ثانية... وبدأت رؤية الجماعة في الانتشار وراء عالم الطلاب. وذهبت الكوادر الإسلامية والدعاة للدعوة في المناطق الفقيرة المجاورة". (٤٩)

الاسلام الراديكالى كحركة اجتماعية:

ان القاعدة الطبيقة للحركة الإسلامية هى نفس القاعدة الطبيقية للحركة الفاشية الكلاسيكية، والاصولية الهندوسية وحركة شيف سينا في الهند، حيث جندت كل هذه الحركات اعضاءها من ابناء الطبقة الوسطى ذوى الياقات البيضاء والطلاب، وكذلك من البرجوازية الصغيرة المهنية والتجارية التقليدية.أدى ذلك، بالاضافة الى عداء معظم الحركات الإسلامية لليسار، وحقوق المرأة والعلمانية، الى أن يسمى كثير من الاشتراكيين والليبراليين هذه الحركات بالفاشية. ولكن ذلك خطأ.

ليست الفاشية وحدها التى تقوم على أساس طبقى من البرجوازية الصغيرة، لقد كان ذلك أيضا أحد ملامح اليعقوبية، والعالم ثالثية، والستالينية الماوية، والبيرونية. ولا تصبح حركات البرجوازية الصغيرة فاشية الا عندما تصعد عند نقطة معينة من الصراع الطبقى، وتلعب فيه دورا معينا. ولا يقتصر هذا الدور على تحريك البرجوازية الصغيرة فقط، ولكن استغلال شعورهم بالمرارة بسبب ما تسببه لهم أزمة حادة في النظام ثم تشكيلهم في عصابات منظمة مستعدة للعمل في خدمة رأس المال لتدمير المنظمات العمالية.

لذلك كانت حركتى موسولينى وهتلر فاشية بينما، لنقل، حركة بيرون في الارجنتين لم تكن كذلك. برغم أن بيرون قد استعار بعض مظاهر الفاشية، فقد استولى على السلطة في ظروف استثنائية سمحت له بشراء المنظمات العمالية بينما حول أرباح كبار الرأسماليين العقاريين الى الصناعة باستخدام اسلوب تدخل الدولة. وأثناء السنوات الستة الاولى من حكمه سمحت بعض الظروف بارتفاع الأجور الحقيقيى بنسبة بلغت حوالى ٦٠%. كان من الممكن أن يحدث العكس تماما اذا ما حدث هذا في ظل نظام فاشى حقيقى. وبرغم ذلك ظلت الانتليجنتسيا الليبرالية، والحزب الشيوعى الارجنتينى، يطلقون على النظام " بيروني نازى "، بنفس الطريقة التى يتعمد غالبا كثير من اليساريين تسمية الحركة الإسلامية اليوم بالفاشية. (٥٠)

وبالمثل، تلعب الحركة الإسلامية الجماهيرية في بلاد مثل مصر والجزائر دورا مختلفا عن دور الفاشية. فهى لا تتوجه بالأساس ضد المنظمات العمالية، ولا تطرح نفسها على القطاعات الرئيسية لرأس المال كوسيلة لحل مشكلاتها على حساب العمال. انها في الأغلب تشترك في مواجهة عسكرية مباشرة مع قوات الدولة بطريقة نادرا ما كانت الاحزاب الفاشية تخوضها. وبدلا من أن تكون وكلاء للامبريالية، رفعت هذه الحركات شعارات ضد الامبريالية ونفذت بعض العمليات المعادية للامبريالية أربكت مؤسسات رأسمالية عالمية وقومية هامة (في الجزائر، الموقف من حرب الخليج الثانية، في مصر، ضد السلام مع اسرائيل، في ايران، ضد الوجود الأمريكى في أعقاب الاطاحة بالشاه).

استطاع جهاز المخابرات الامريكية التعاون مع مثقفي باكستان ودول الشرق الاوسط الموالية للغرب لتسليح آلاف من المتطوعين من منطقة الشرق الاوسط للحرب ضد الروس في أفغانستان. ولكن يعود هؤلاء المتطوعون الآن الى الوطن ليكتشفوا أنهم كانوا يحاربون من أجل الولايات المتحدة بينما كانوا يعتقدون أنهم يحاربون من أجل الاسلام، فيشكلون قوة صلبة معارضة لمعظم الحكومات التى شجعتهم على الذهاب. حتى في السعودية، حيث يطبق التفسير الوهابى المتزمت للشريعة الإسلامية بكل قوة الدولة، تسعى المعارضة الآن الى كسب تأييد المجاهدين الأفغان، مشمئزة من نفاق العائلة الملكية التى تندمج كثيرا في الطبقة الرأسمالية العالمية. بينما تنتقم العائلة الملكية، كاشفة عن عدائها لبعض الذين شجعتهم في الماضى، وتمنع التمويل عن جبهة الانقاذ الإسلامية الجزائرية بسبب تأييدها للعراق في حرب الخليج الثانية، وتنفي مليونيرا سعوديا كان يمول الإسلاميين في مصر.

يعجز اليساريون الذين يرون ببساطة أن الجماعات الإسلامية جماعات " فاشية " عن فهم أثرها في هز استقرار المصالح الرأسمالية في كامل منطقة الشرق الأوسط، وينتهون الى الوقوف بجانب الدولة التى تمثل العميل الأقوى لكل من الامبريالية ورأس

المال المحلى ! لقد حدث ذلك مثلا، لتلك القطاعات من اليسار الواقعة تحت تأثير فلول الستالينية في مصر. وحدث مع معظم اليساريين الايرانيين أثناء المراحل الأخيرة من حرب الخليج الأولى، عندما أرسلت الامبريالية الأمريكية اسطولها للحرب الى جانب العراق ضد ايران. بل ويشكل أيضا خطرا على اليسار العلمانى في الجزائر، الذى يواجه اقتراب الحرب الأهلية بين الإسلاميين والدولة.

ولكن اذا كان من الخطأ اعتبار الحركات الإسلامية حركات فاشية، فمن الخطأ أيضا اعتبارها ببساطة حركات ضد الدولة وضد الامبريالية. فهم لايقاتلون فقط ضد تلك الطبقات والدول التى تستغل وتسيطر على الجماهير. انهم يحاربون أيضا ضد العلمانية، وضد النساء اللاتى يرفضن تقبل الآراء الإسلامية عن " الاحتشام "، وضد اليسار، وفي حالات هامة، ضد الأقليات العرقية والدينية. لقد أسس الإسلاميون الجزائريون قاعدتهم في الجامعات في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات من خلال تنظيم " حملات عقابية " ضد اليسار بالموافقة الضمنية للبوليس، وأول شخص قتلوه لم يكن موظفا بالدولة ولكن عضوا في منظمة تروتسكية، وقاموا بحركة أخرى هى رفض مجلة هارد روك، والمثلية الجنسية، والمخدرات وموسيقى البونك في معرض الكتاب الاسلام في ١٩٨٥، في المدن الجزائرية التى يشكلوق القطاع الأقوى فيها، ويقومون بتنظيم هجوم فعلى على النساء اللاتى يجرؤن على كشف حزء من أجسادهن، وقد كانت المظاهرة العلنية الاولى لجبهة الانقاذ الجزائرية في ١٩٨٩ ردا على مظاهرات " العلمانيين " و" النسويين " ضد العنف الإسلامي، الذى كانت النساء أولى ضحاياه. (٥١) ان عداء الحركة الإسلامية لا يتجه فقط ضد الدولة ورأس المال الاجنبى، ولكن ايضا ضد أكثر من مليون مواطن جزائرى لم يكن خطأهم أنهم تربوا على الفرنسية كلغتهم الأولى، وكذلك ١٠% من السكان البربر الذين لا يتحدثون العربية.

وكذلك في مصر، تقتل الجماعات الإسلامية المسلحة العلمانيين والإسلاميين الذين يختلفون معهم بشكل حاد، ويحفزون المسلمين على كراهية و، ضمنيا، تطهير ١٠% من السكان تصادف أن يكونوا مسيحيين أقباط. وفي ايران أعدم جناح الخومينى في الحركة الإسلامية حوالى ١٠٠ شخص " بتهم جنسية " مثل المثلية الجنسية، والزنا في ١٩٧٩-١٩٨١، وطردوا النساء من النظام القضائى، ونظموا عصابات اجرامية – حزب الله الايرانى – لمهاجمة النساء المتبرجات ومهاجمة الجناح اليسارى، وقتلوا الآلاف في حملة لقمع مجاهدى الشعب الإسلامي اليساريين. وفي أفغانستان، حولت المظمات الإسلامية، التى أشعلت حربا دموية طويلة ضد الاحتلال الروسى لبلدهم، أسلحتهم الثقيلة نحو بعضهم البعض بمجرد رحيل الروس، محولين مناطق بكاملها في كابول الى حطام.

في الواقع، وبرغم أن الإسلاميين يؤكدون على معاداتهم للامبريالية الا أنهم غالبا ما يتخلون عن مواجهتها. لأن امبريالية اليوم عادة ما لا تكون السيطرة المباشرة لدول الغرب على أجزاء من العالم الثالث، ولكن نظاما عالميا من الطبقات الرأسمالية المستقلة (الخاصة والدولة) تندمج في سوق عالمى واحد. وبعض الطبقات الحاكمة تمتلك قوة أكبر من الاخرى ولذلك تكون قادرة على فرض شروطهاالخاصة في المعاملات من خلال سيطرتها على منافذ التجارة، والنظام البنكى، وأحيانا، استخدام القوة السافرة. وهذه الطبقات الحاكمة تقف على قمة هرم الاستغلال، ولكن تلك الطبقات التى تليها مباشرة هى الطبقات الحاكمة للبلاد الفقيرة، التى تعمل في الاقتصاديات القومية المنفصلة، وتستفيد أيضا من النظام، وتربط نفسها باستمرار بالشبكات المتعددة النجنسية المسيطرة وتعمل داخل اقتصاديات العالم المتقدم، حتى وان كانوا أحيانا أخرى يهاجمون من هم فوقهم.

ان معاناة الغالبية العظمى من الناس لا يمكن ببساطة ارجاعها الى القوى الامبريالية العظمى ووكلائها مثل البنك الدولى وصندوق النقد الدولى. انها أيضا تنتج عن المشاركة النشطة في الاستغلال من الرأسماليين الأصغر ودولتهم. هؤلاء هم الذين يطبقون السياسات الفعلية التى تؤدى الى افقار الناس وتدمير حياتهم. وهم أيضا الذين يستخدمون البوليس للقضاء على من يحاولون المقاومة.

وهنا يوجد فرق مهم عما حدث في ظل الامبريالية الكلاسيكية للامبراطوريات الاستعمارية، حيث سيطر المستعمرون بأنفسهم على الدولة وأداروا عملية القمع. في تلك الحالة، كانت الطبقات المستغلة المحلية مشتتة بين اتجاهين، بين مقاومة الدولة عندما تضر بمصالحها، والتعاون معها كحماية لها ضد من تستغلهم. ولكنها لم تكن بالضرورة في الصف الاول ضمن المدافعين عن النسق الكامل لعملية الاستغلال ضد الثورة. ولكنها الآن كذلك. فهى جزء من النظام – حتى وان كانت أحيانا تدخل في خلافات معه. ولم تعد المعارض المتذبذب له. (٥٢)

في هذه الحالة، فان أى أيديولوجية تقصر نفسها على مقاومة الامبريالية الاجنبية كعدو أوحد، تتجنب أى مواجهة حادة مع النظام. فهى تعبر عن معاناة الناس وغضبهم، ولكنها تتجنب توجيههم الى أعدائهم الحقيقيين. وهذه هى حقيقة معظم الرؤى الإسلامية، تماما كما أنها حقيقة معظم الرؤى القومية في العالم الثالث في الوقت الحالى. انهم يشيرون الى عدو أساسى، أى النظام العالمى، وأحيانا يصطدمون بقوة مع الدولة. ولكنهم يبرئون غالبية البرجوازية المحلية من المسئولية – وهى أهم حليف للامبريالية على المدى الطويل.

وتقارن دراسة حديثة للخومينية قام بها ابراهيميان بين الحركة الإسلامية وبين البيرونية والاشكال المماثلة من 'الشعبوية':

"تبنى الخومينى نظريات راديكالية... وأحيانا ما بدا أكثر راديكالية من الماركسيين. ولكن بينما كان يتبنى رؤى راديكالية استمر مخلصا في تحمل مسئولية الحفاظ على ملكية الطبقة الوسطى. هذا الشكل من راديكالية الطبقة الوسطى جعله مشابها للشعبويين في أمريكا اللاتينية، خاصة البيرونيين". (٥٣)

ويسترسل ابراهيميان فيقول:

"أعنى بالشعبوية حركة تقوم بها الطبقة المتوسطة المالكة تحرك الطبقات الأدنى، خاصة فقراء الحضر، بشعارات راديكالية موجهة ضد الامبريالية، والرأسمالية الأجنبية، والمؤسسة السياسية.. وتعد الحركات الشعبوية برفع مستويات المعيشة بصورة كبيرة وجعل البلاد مستقلة تماما عن القوى الخارجية. بل أنها تمتنع عمدا عن تهديد البرجوازية الصغيرة ومبدأ الملكية الخاصة، وهذا أهم بالنسبة لها من مهاجمة الاوضاع القائمة بخطابة راديكالية. هكذا تؤكد الحركات الشعبوية بالضرورة على أهمية اعادة البناء الثقافي والقومى والسياسى، وليس أهمية الثورة الاقتصادية والاجتماعية". (٥٤)

تتجه هذه الحركات الى الخلط بين الامور من خلال التحول عن أى صراع حقيقى ضد الامبريالية الى صراع أيديولوجى خالص ضد ما يرونه آثارها الثقافية. وتعتبر " الاستعمار الثقافي " بدلا من الاستغلال المادى، مصدر جميع الأخطاء. ولا يكون الصراع بالتالى موجها ضد القوى المسئولة عن افقار الشعب، بل ضد من يتحدثون اللغات 'الأجنبية'، ويتبنون الأديان 'الغريبة'، أو يرفضون أنماط الحياة 'التقليدية"المزعومة.وهذا يتناسب تماما مع قطاعات معينة من رأس المال المحلى التى يسهل عليها ممارسة " الثقافة المحلية "، على الأقل في العلن. وهو أيضا يحقق مصالح مادية مباشرة لقطاعات من الطبقة الوسطى التى يمكنها بناء مستقبلها الوظيفي الخاص عن طريق ازاحة أخرين من وظائفهم. ولكنه يحد من الأخطار التى تسببها هذه الحركات على الامبريالية كنظام.

تعمل الحركة الإسلامية اذن على اثارة الغضب الجماهيرى وتعويقه، على تشكيل مشاعر الجماهير على ضرورة عمل شئ وتوجيه هذه المشاعر الى مجالات ضيقة، وعلى هز استقرار الدولة والحد من الصراع الحقيقى ضدها.

وتنشأ الطبيعة المتناقضة للحركة الإسلامية عن الأساس الطبقى لكوادرها الأساسية. فلا يمكن للبرجوازية الصغيرة كطبقة أن تتبع سياسة متماسكة مستقلة خاصة بها. وكان ذلك صحيحا دائما بالنسبة للبرجوازية الصغيرة التقليدية – أى أصحاب الورش الصغيرة، والتجار والمهنيين المستقلين. ويسيطر عليها دائما رغبة محافظة في الأمان تتطلع الى الماضى وتأمل في الافادة بشكل فردى من التغيير الثورى. وهذا بالضبط صحيح أيضا بالنسبة لفقراء الطبقة المتوسطة الجديدة – أو الأكثر منهم فقرا من العاطلين عن العمل وخريجى الجامعات والمدارس الثانوية ممن كان يمكن أن يصبحوا أعضاء في الطبقة المتوسطة الجديدة – في البلاد المتخلفة اقتصاديا اليوم. ولذلك يحلمون بماض ذهبى مزعوم. أو يرون مستقبلهم مرتبطا بتقدم اجتماعى شامل من خلال التغيير الثورى. أو يوجهون الاستفزاز الناتج عن تطلعاتهم الى قطاعات أأخرى من السكان الذين يستحوذون على وظائف الطبقة الوسطى بصورة ' غيرعادلة ': أى الأقليات الدينية والعرقية، أو أصحاب لغة مختلفة، أو النساء التى تعمل بطريقة "غير تقليدية".

ولا يعتمد تحولهم الى اتجاه ما على عوامل مادية مباشرة فقط. بل يعتمد أيضا على الصراعات التى تحدث على المستوى القومى والعالمى. هكذا أثارت الصراعات ضد الاستعمار والامبريالية في الخمسينات والستينات كثير من الطبقة الوسطى الصاعدة في العالم الثالث، ونشأ شعور عام بأن التنمية الموجهة من الدولة تمثل طريق التقدم. وبدا أن اليسار العلمانى، أو على الأقل التيار القومى أو الستالينى، كممثل لهذه الرؤية، قد حظى بدرجة من الهيمنة في الجامعات. في تلك الفترة، حتى أولئك الذين بدأوا بتوجهات دينية جذبهم ما كان ينظر اليه كيسار – من خلال مثال الحرب الفيتنامية ضد أميركا أو من خلال ما يدعى بالثورة الثقافية في الصين – وبدأوا في رفض الفتاوى الدينية التقليدية، مثل مسألة المرأة. حدث ذلك مع فقراء التحرر الكاثوليك في أمريكا اللاتينية ومجاهدى الشعب في ايران. وحتى في أفغانستان فان الطلبة الإسلاميين.

" تظاهروا ضد الصهيونية أثناء حرب الايام الستة، وضد السياسات الامريكية في فييتنام ومزايا المؤسسة الحاكمة. وقد عارضوا بقوة شخصيات هامة في الجانب التقليدى، وعارضوا الملك وخاصة ابن أخيه داوود.. وثاروا ضد النفوذ الاجنبى في أفغانستان لكل من الاتحاد السوفييتى والغرب، وكذلك ضد المضاربين في فترة المجاعة عام ١٩٧٢ من خلال المطالبة بضرورة الرقابة على الملكية الخاصة." (٥٥)

تغيرت الأحوال في أواخر السبعينات والثمانينات. فمن ناحية، بدأت موجة عالمية لفضح ما عرف بالنموذج الاشتراكى، مثلا، في دول أوروبا الشرقية، كنتيجة لحقول الموت في كمبوديا، والحرب المحدودة بين الصين وفييتنام، وتحرك الصين نحو المعسكر الأمريكى. تزايدت حدة هذا الفضح في أواخر الثمانينات كنتيجة للتغيرات في أوروبا الشرقية وسقوط الاتحاد السوفييتى.

حدث ذلك بصورة أعنف بكثير في بلاد شرق أوسطية معينة من أى مكان آخر في العالم لأن الأوهام لم تكن مجرد سياسة خارجية. بل كانت الأنظمة المحلية تدعى أنها تطبق أشكالا وطنية من " الاشتراكية "، تستند بشكل أكثر أو أقل الى نموذج أوروبا الشرقية. حتى أولئك اليساريون الذين انتقدوا حكوماتهم مالوا الى قبول وتمثل تلك الادعاءات. فقد تطوع يسار الجامعات في الجزائر في أوائل السبعينات للذهاب الى الريف والمساعدة في "الاصلاح الزراعى"، برغم أن النظام اضطهد منظمة الطلاب اليساريين وأبقى على سيطرة البوليس على الجامعات. وفي مصر أصر الشيوعيون على اعلان أن عبد الناصر كان اشتراكيا، حتى بعد أن ألقى بهم في السجن.

ومن ناحية أخرى، كان ظهور دول اسلامية معينة كقوة سياسية – أى سيطرة القذافي على السلطة في ليبيا، قيادة السعودية للحظر البترولى ضد الغرب في وقت الحرب العربية الاسرائيلية في ١٩٧٣، وبعد ذلك، ما هو أهم، التأسيس الثورى لجمهورية ايران الإسلامية في ١٩٧٩.

بدأت الحركة الإسلامية في الانتشار بين الشرائح الأساسية من الطلبة والشباب الذين تطلعوا يوما ما الى اليسار: ففي الجزائر، مثلا، " بدأ ينظر الى الخومينى من قبل الشرائح الشابة كما كان ينظر الى ماو وجيفارا يوما ما". (٥٦)

وتزايدت شعبية الحركة الإسلامية قوة بعد قوة حيث بدا أنهم يطرحون تغييرا ثوريا وعاجلا. فقد كان قادة الحركة الإسلامية منتصرين.

وبرغم ذلك لم تختفي تناقضات الحركة الإسلامية، بل عبرت عن نفسها بقوة في العقد التالى. وبدلا من أن تكون قوة لا تتوقف، كانت الحركة الإسلامية في الواقع عرضة لضغوطها الداخلية التى دفعت أتباعها بصورة متكررة للتحول ضد بعضهم البعض. وتماما كما كان تاريخ الستالينية في الشرق الأوسط تاريخ فشل وخيانات وانشقاقات وقمع، كذلك كان تاريخ الحركة الإسلامية في الثمانينات والتسعينات.

تناقضات الحركة الإسلامية في مصر:

تعبر الطبيعة المتناقضة للحركة الإسلامية عن نفسها في الطريقة التى تفهم بها تطبيق "العودة الى القرآن". فمن الممكن أن ترى ذلك من خلال اصلاح "قيم" المجتمع القائم، قاصدة ببساطة العودة الى الممارسات الدينية، بينما تترك الأبنية الرئيسية للمجتمع كما هى. أو من الممكن أن تعنى الاطاحة الثورية بالمجتمع القائم. ويمكن ملاحظة هذا التناقض في تاريخ كل من الأخوان المسلمين الأوائل في مصر في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات وفي الحركة الإسلامية الراديكالية الجديدة في السبعينات والثمانينات والتسعينات.

تزايد نمو الأخوان المسلمين بسرعة في الثلاثينات والأربعينات حيث جذبت مؤيديها من أولئك الذين زال عنهم الوهم بعد المساومات التى قام بها حزب الوفد الوطنى البرجوازى مع البريطانيين، كما رأينا. وقد ساعدها على ذلك تحول اليسار الشيوعى الواقع تحت تأثير ستالين، والذى وصل الى حد تأييد الوجود الاسرائيلى. ومن خلال تجنيد المتطوعين للحرب في فلسطين وضد الاحتلال البريطانى لمنطقة القنال المصرية، بدا الأخوان الملمون أنهم يدعمون الصراع ضد الامبريالية. ولكن بمجرد أن وصل نفوذ الأخوان الى أقصى درجة له، بدأت الدخول بسرعة في المتاعب. فقد بنت قيادتهانفسها على مجموعة من القوى – أى تجنيد جمهور شباب البرجوازية الصغيرة، وعلاقات مع القصر، وصفقات مع الجناح اليمينى من الوفد، ومؤمرات مع صغار الضباط في القوات المسلحة – والذين كانوا أنفسهم يتحركون في اتجاهات مختلفة.

وحيث مزقت الاضرابات والمظاهرات والاغتيالات، والهزيمة العسكرية في فلسطين، وحرب العصابات في منطقة القنال، المجتمع المصرى، كذلك كانت الاخوان المسلمون نفسها عرضة للتحلل. فكان كثير من أعضائها مستائين من السلوك الشخصى للسكرتير العام، زوج أخت البنا عابدين. وأدان البنا نفسه أعضاء الاخوان الذين اغتالوا نقراشى، رئيس الوزراء. وبعد موت البنا في ١٩٤٩ فوجئ تابعه " كمرشد عام للجماعة" عند اكتشافه لوجود قطاع ارهابى سرى. وأدى استحواذ العسكريين على السلطة بقيادة عبد الناصر في ٥٢-١٩٥٤ الى انقسام جوهرى بي أولئك الذين أيدوا الانقلاب وأولئك الذين عارضوه حتى انتهت الجماعات المتصارعة أخيرا في الاخوان الى العراك المباشر للسيطرة على مكاتبها. ومكن " افتقاد الثقة الكبير في القيادة " (٥٧) عبد الناصر أخيرا من تحطيم المنظمة التى كانت يوما ما تشكل قوة هائلة. (٥٨)

ولكن افتقاد الثقة لم يكن صدفة. فقد نتج عن انقسامات لا يمكن تخطيها والتى كانت حتمية الظهور في حركة برجوازية صغيرة مع زيادة عمق الأزمة في المجتمع. فمن ناحية، كان هناك من يتبنون وجهة نظر تدعو الى استغلال الأزمة لاجبار الطبقات الحاكمة القديمة لعمل صفقة معهم لفرض " القيم الإسلامية " (كان البنا نفسه يحلم بالاشتراك مع الملكية بتأسيس " خلافة جديدة " وفي أحد المناسبات أيد الحكومة في مقابل وعدها باحكام قبضتها على استهلاك الخمور وعلى الدعارة)؛ (٥٩) ومن ناحية أخرى، كان هناك أعضاء من البرجوازية الصغيرة الراديكالية الذين يرغبون في تغيير اجتماعى حقيقى، ولكنهم يفهمون أن امكانية تحقيق ذلك فقط تكون من خلال الصراع الفورى المسلح.

استمرت نفس التناقضات تتخلل الحركة الإسلامية في مصر اليوم. بدأ الأخوان المسلمون الجدد في العمل بصورة شبه شرعية حول مجلة الدعوة في أواخر الستينات، مديرة ظهرها الى أى وجهة نظر تدعو للاطاحة بالنظام المصرى. وبدلا من ذلك حددت هدفها في اصلاح المجتمع المصرى نحو الخط الإسلامي بواسطة الضغط من الداخل. ويجب أن تكون المهمة، كما وضعها المرشد العام للاخوان في كتاب له من السجن أن يكونوا " دعاة لا قضاة ".(٦٠) كان ذلك يعنى في الممارسة تبنى اتجاه " اصلاح اسلامى "، والسعى للوقوف بجانب نظام السادات. (٦١) وفي المقابل استخدم النظام الإسلاميين للتعامل مع أولئك

الذين اعتبرتهم في ذلك الوقت أعدائها الرئيسيين – أى اليسار: " تعامل النظام بحماس مع الجناح الاصلاحى من الحركات الإسلامية – متجمعا حول مجلته الشهرية " الدعوة " وفي أحواش الجامعات من خلال الجمعيات الإسلامية – حيث طهر الإسلاميون الجامعات من أى شئ فيه رائحة الناصرية أو الشيوعية ".(٦٢)

اختزت مصر كلها بموجة من الاضرابات والمظاهرات وأعمال العنف في ١٣ محافظة في يناير ١٩٧٧، ردا على زيادة الدولة لاسعار الخبز وسلع استهلاكية ضرورية أخرى. كانت هذه أكبر انتفاضة في البلاد منذ ثورة ١٩١٩ الوطنية ضد البريطانيين. أدانت كل من الجمعيات الإسلامية والاخوان المسلمون الانتفاضة وأرسلوا خطابات تأييد للدولة ضد ما أسموه " مؤامرة شيوعية ".

فالأهم بالنسبة لهذه " الاصلاحية " الإسلامية هو تغيير أخلاقيات المجتمع، بدلا من تغيير المجتمع نفسه. وليس الأهم هو اعادة بناء المجتمع الإسلامي (الأمة) من خلال تحويل المجتمع، ولكن فرض أشكال معينة من السلوك داخل المجتمع القائم. وعدوها ليس الدولة أو " الطغاة " المحليين، ولكن قوى خارجية يعتقدون أنها تقضى على القيم الدينية – وهى في نظر "الدعوة " " اليهودية والصليبية " (أى المسحيين بما فيهم الاقباط) و" الشيوعية " و" العلمانية ". ويتضمن الجهاد للتعامل مع هؤلاء صراعا لفرض الشريعة (النظام التشريعى الذى يحدده الفقهاء الملمون من القرآن والتراث الإسلامي). فهى معركة لدفع الدولة الحالية الى فرض شكل معين من الثقافة على المجتمع، بدلا من كونها معركة للاطاحة بالدولة.

هذا المفهوم يتفق جيدا مع رغبات الطبقات الاجتماعية التقليدية الذين يؤيدون نموذجا معينا من الحركة الإسلامية (بقايا طبقة ملاك الأراضى القديمة والتجار)، ومع أولئك الذين كانوا يوما ما شباب اسلامى راديكالى ولكنهم استقروا الآن (بسبب الثراء في السعودية أو الترقى الى مواقع مريحة داخل مهنيي الطبقة الوسطى) ومع أولئك الإسلاميين الراديكاليين الذين يئسوا من التغيير الاجتماعى الراديكالى عندما ووجهوا باضطهاد الدولة لهم.

ولكنه لا يتناسب على الاطلاق مع التطلعات العنيفة لجماهير الطلاب والخريجين الفقراء، أو مع جماهير الفلاحين السابقين الذين يختلطون بالاجزاء الفقيرة في المدن. فينجذبون بسهولة الى رؤى أكثر راديكالية بكثير"لمعنى العودة الى القرآن" – رؤى لا تهاجم فقط الآثار الغربية على الدول الإسلامية الحالية، بل أيضا تهاجم هذه الدول نفسها.

هكذا، يعد كتاب "علامات في الطريق" من النصوص الاساسية للاسلاميين في مصر، كتبه أحد أعضاء الأخوان المسلمين أعدمه عبد الناصر في ١٩٦٦ وهو سيد قطب. لم يهاجم هذا الكتاب فقط افلاس الايديولوجيات الغربية والستالينية، ولكنه أيضا يؤكد أن الدولة يمكن أن تدعو نفسها اسلامية وتظل تعتمد على بربرية معادية للاسلام (الجاهلية، الاسم الذى يطلقة الملمون على مجتمعات ما قبل الاسلام في الجزيرة العربية). (٦٣)

هذه الاوضاع يمكن تصحيحها فقط بواسطة " طليعة الامة " التى تقوم بثورة من خلال اتباع مثال "الرعيل الاول من المسلمين" (٦٤) – وهو الانسحاب من المجتمع القائم كما فعل محمد عندما هاجر من مكة من أجل بناء قوة قادرة على الاطاحة به. ذهبت وجهات النظر هذه الى أبعد من اعتبار الامبريالية العدو الأوحد، وبدلا من ذلك، هاجمت للمرة الأولى الدولة المحلية مباشرة. وقد أربكت المعتدلين من الاخوان المسلمين الجدد، الذين يفترض أنهم يقدرون مؤلفهم كشهيد. ولكنها شجعت آلاف عديدة من الراديكاليين الشباب. هكذا في منتصف السبعينات أعدمت احدى الجماعات، التكفير والهجرة التى يقودها شكرى مصطفي بسبب اختطافها أحد موظفي الأوقاف في ١٩٧٧، التى ترفض المجتمع الحالى كمجتمع " غيراسلامى "، وكذلك المساجد الحالية،

والدعاة الدينيين الحاليين، وحتى الأخوان المسلمين الجدد المرتبطين " بالدعوة ".(٦٥) وكانت تعتبر أن أعضاءها فقط هم المسلمون الحقيقيون ويجب يجب عليهم الانفصال عن المجتمع القائم، والعيش في تجمعات منفصلة والتعامل مع الآخرين ككفار.

في البداية كانت الجمعيات الإسلامية في الجامعات واقعة تحت تأثير الأخوان المسلمين المعتدلين، ولم يدينوا فقط الانتفاضة ضد زيادة الأسعار وانما قاموا أيضا بالتعتيم على اعدام شكرى بعد ذلك في نفس السنة. ولكن بدأت توجهاتهم في التحول، خاصة عندما بدأ السادات " عملية السلام " مع اسرائيل في اواخر ١٩٧٧. وفورا تبنى كثير من مناضلى الجامعة أفكارا أكثر راديكالية في بعض جوانبها من أفكار شكرى: فلم ينفصلوا فقط عن المجتمع القائم، بل بدأوا في التنظيم للاطاحة به، مثل اغتيال جماعة الجهاد بقيادة عبد السلام فراج للسادات في أكتوبر ١٩٨١.

وجه فراج انتقاداته العنيفة بوضوح لاستراتيجيات أحزاء مختلفة من الحركة الإسلامية – تلك القطاعات التى قصرت نفسها على العمل في المجالات الخيرية الإسلامية، هؤلاء (أى الأخوان المسلمون الجدد) الذين يحاولون بناء الحزب الإسلامي الذى يمكنه فقط أن يضفي الشرعية على الدولة القائمة، والذين يعتمدون على الدعوة ولذلك يتجنبون الجهاد، وهؤلاء الذين يدافعون عن الانسحاب من المجتمع حسب اتجاهات جماعة شكرى، وكذلك الذين يرون أولوية الجهاد ضد الأعداء الخارجيين للاسلام (في فلسطين وأفغانستان). وأصر على الصراع الفورى المسلح ضد كل هؤلاء، ان "الجهاد ضد الطاغية" واجل كل المسلمين:

"ان الجهاد ضد العدو في الداخل أولى من الجهاد ضد العدو في الخارج... فمسئولية وجود الاستعمار أو الامبريالية في بلادنا الإسلامية تقع على هذه الحكومات الكافرة. ولذلك يكون الصراع ضد الامبريالية عبثيا وغير مشرف، بل مضيعة للوقت".(٦٦)

أدت وجهة نظر فراج مباشرة الى رؤية للتمرد ضد الدولة. ولكن لم يقض هذا على الاختلافات الهامة داخل مجموعته بين قطاع القاهرة، الذى تشكل حول الهدف الأساسى لاسقاط الدولة الكافرة، والقطاع الآخر في أسيوط، الذى " اعتبر التنصير المسيحى للمسلمين العقبة الرئيسية أمام انتشار الاسلام ".(٦٧)

كان هذا يعنى في الممارسة أن توجه مجموعة أسيوط معظم نيرانها ضد الأقلية القبطية (وغالبيتهم من فقراء الفلاحين) – السياسة التى كان طلاب الجامعة قد اتبعوها فعلا بنجاح مذهل في أوائل العام الدراسى، عندما أشعلت حربا أهلية طاحنة بداية في وسط مصر في المنيا، وبعد ذلك في القاهرة في الزاوية الحمراء:"لم تتردد الجماعة في اشعال نيران العنف الطائفي حتى تضع الدولة في موقف حرج وتبين أنها مستعدة للحلول محل الدولة، ولنقل، خطوة خطوة. (٦٨)

كنت جماعة الجهاد في أسيوط اذن تتبع سياسة مجربة وناجحة لكسب تأييد شعبى محلى من خلال اثارة الأحقاد الطائفية. مكنها ذلك بسرعة من السيطرة على أسيوط في أعقاب اغتيال السادات. وعلى العكس، لم يفز مناضلى القاهرة، باصرارهم أن الدولة هى العدو، بشكبات متضامنة أو مغذية، وحركتهم المنعزلة – أى اغتيال السادات – لم يتبعها انتفاضة السكان المسلمين في القاهرة التى سعى اليها بعنف فراج وأصدقاؤه. (٦٩) .

وبدلا من أن يؤدى الاغتيال الى تمكين الإسلاميين من الاستحواذ على سلطة الدولة، استطاعت الدولة استغلال فرصة التخبط الناتج عن الاغتيال للقضاء على الإسلاميين. وبسبب القبض على الآلاف واعدام كثير من القادة، أدى القمع الى اضعاف الحركة بصورة هائلة. وبرغم ذلك، لم تنتهى الأسباب التى دفعت كثير من الشباب الى التوجه نحو الإسلاميين. فمع نهاية

الثمانينات استردت الحركة ثقتها وبدأت في النمو السريع في بعض مناطق القاهرة والاسكندرية. وكان ذلك مصحوبا بحملة ارهابية قوية ضد البوليس وقوات الأمن.

بعد ذلك في ديسمبر ١٩٩٢، قامت الدولة بحملة جديدة غير مسبوقة من القمع. واحتلت الأحياء العشوائية في القاهرة، مثل امبابة، بعشرين ألف جندى بالدبابات والعربات المدرعة. وقبضت على عشرات الآلاف ونظمت عصابات لقتل الهاربين من المناضلين الإسلاميين. وأغلقت أهم المساجد التى يستخدمها المسلمون الراديكاليون بالأسمنت. وقبضت على آباء وأطفال وزوجات المناضلين وعذبتهم.

ومرة ثانية كما حدث في الثمانينات، نجحت حملة الارهاب التى قامت بها الدولة. ولم تكن الحركة الإسلامية قادرة على، ولا حتى حاولت، تحريك تأييد حماهيرى في شكل مظاهرات. وبدلا من ذلك، اندفعت في استراتيجية ارهابية تماما لم تهز استقرار نظام مبارك بجدية، حتى وان كانت قد دمرت فعليا صناعة السياحة.

في نفس الوقت، استمر الاخوان الملمون في التصرف كمعارضة موالية، والتفاوض مع النظام على التطبيق التدريجى للشريعة في قوانين الدولة، والاحجام عن التمرد ضد القمع.

تناقضات الحركة الإسلامية في الجزائر:

ان قصة صعود وثورية الحركة الإسلامية في الجزائر مشابهة من زوايا عديدة لتلك في مصر. فقد شجع الديكتاتور الجزائرى بومدين في أواخر الستيات و ١٩٧٠ الحركة الإسلامية المعتدلة لمواجهة اليسار معارضيه القدماء داخل حركة التحرير التى أنهت الاستعمار الفرنسى.

في ١٩٧٠ بادرت الدولة بحملة اسلامية بقيادة مولود قاسم، وزير الدين والتعليم، التى استنكرت "انحطاط الأخلاق" و"التأثير الغربى" وراء "الانفتاحية" و"شرب الخمور" و"الاحساس بالدونية الذى يتمثل في اتباع الغرب دائما والملابس النصف عارية".(٧٠) استطاع الإسلاميون استغلال هذه الحملة لزيادة نفوذهم الخاص، حاصلين على الأموال من ملاك الأراضى القلقين من الاصلاح الزراعى لنشر الرسالة التى يمكن أن تشد معظم الشرائح الفقيرة من المجتمع:

"كان جوهر دعاية الاصوليين أن الاسلام مهدد من التسلل الشيوعى والالحادى الذى كان الاصلاح الزراعى يشكل عقبة أمامه.. ونشر الأصوليون أفكارهم الخاصة في أكثر المناطق حرمانا، بعد البناء السريع للمساجد التى تحولت بعد ذلك الى انشاءات صلبة. سئم العمال والعاطلين عن العمل ظروف حياتهم، حيث لم ينتفعوا من الاصلاح الزراعى، فاستجابوا للاصوليين".(٧١)

وبعد ذلك في منتصف السبعينات حصلوا على دعم من قطاعات من النظام للقضاء على اليسار في الكليات: " نجح الأصوليون فيما بين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ بالتآمر مع النظام في القضاء التام على نفوذ الماركسيين".(٧٢)

وفي أوائل الثمانينات، استمر قطاع من النظام في التطلع الى الرؤى الأكثر اعتدالا من الحركة الإسلامية لتدعمه. فقد سعى شيبان، وزير الشئون الدينية حتى ١٩٨٦ لبناء هذا الاتجاه الإسلامي، ولهذا ساعد الإسلاميين للحصول على أموال لبناء المساجد من الصناعيين والمؤسسات التجارية (٧٣). ولكن ذلك لم يمكنه من ايقاف تطور رؤى اسلامية راديكالية ترفض النظام. هكذا في مدينة قسطنطين، بينت إحدى الدراسات:

"حلت الأصولية في قطاع واسع من الرأى العام في قسطنطين محل المفاهيم التقليدية من خلال نشر رؤية اسلامية جديدة تدعو الى إحياء مجتمع النبى. وتستمد هذه الأصولية قوتها من الاستفزاز الذى يسيطر على جزء كبير من الشباب، أولئك الخارجين من حسابات النظام الاقتصادى والاجتماعى".(٧٤)

كانت هذه الرؤية الإسلامية من القوة بحيث كانت قادرة عل اجبار وزارة التعاليم الدينية على تعيين أعضائها كأئمة في المساجد بدلا من أولئك الذين يتبنون رؤى معتدلة.

وبدأ النظام يفقد السيطرة على الميكانيزمات نفسها التى أثارها للتعامل مع اليسار. وبدلا من أن تسيطر على الجماهير لصالح النظام، وفرت الحركة الإسلامية تركيزا لكل مرارتهم وكراهيتهم لأولئك القادة الذين شاركوا في حرب التحرير في الستينات ولكنهم أصبحوا الآن طبقة حاكمة متميزة. وعمقت الأزمة الاقتصادية التى عانى منها المجتمع الجزائرى في منتصف الثمانينات من الاحساس بالمرارة – حيث تحولت الدولة الى الرأسماليين الغربيين الذين استنكرتهم في الماطى في محاولة للتعامل مع الأزمة. وأصبح التحريض الإسلامي ضد اولئك الذين يتحدثون الفرنسية وقد " أفسدتهم الأفكار الغربية " بسهولة هجوما على مصالح " الفئة

القليلة ولكن المسيطرة من التكنوقراط ذوى التعليم العالى والذين يشكلون أساس طبقة جديدة من البيةروقراطيين ذوى الرواتب العالية". (٧٥)

بدأ النظام في التحول ضد الإسلاميين بسجن قادتهم في منتصف الثمانينات، حيث أتهم الرئيس الشاذلى الأئمة " بالديماجوجية السياسية ".(٧٦) وبرغم ذلك، لم تكن النتيجة هى القضاء على الإسلاميين، بل تعزيز موقفهم في معارضة النظام.

أصبح ذلك واضحا في أكتوبر ١٩٨٨. انفجر العداء ضد الطبقة الحاكمة والنظام في انتفاضة شبيهة جدا لتلك التى كانت وشيكة الجدوث في أوروبا الشرقية بعد ذلك بعام. وتحولت الحركة فورا، التى بدأت كسلسلة من الاضرابات العفوية في الجزائر العاصمة، الى معارك كبيرة في الشوارع بين الشباب والبوليس: أعاد الناس، مثل سجين أطلق لتوه، اكتشاف أصواتهم وشعورهم بالحرية. وحتى قوة البوليس لم تعد تخيفهم. (٧٧) كان تمرد أكتوبر ١٩٨٨ قبل كل شئ احتجاجا للشباب على ظروف حياتهم بعد ربع قرن من الديكتاتورية العسكرية. (٧٨)

اهتز النظام من أساسه نتيجة لهذا التمرد. وكما في أوروبا الشرقية، ظهرت كل أشكال القوى السياسية التى قمعت من قبل. وكتب الصحفيون بحرية لأول مرة، وبدأ المثقفون في الحديث بحرية عن حالة المجتمع الجزائرى الحقيقية.. وعاد السياسيون المنفيون من كل من اليسار واليمين من الخارج، وظهرت حركة نسائية تتحدى قانون العائلة الإسلامي الذى يفرضه النظام، والذى يمنح النساء حقوقا أقل من الرجال. ولكن حالا بدا واضحا أن الإسلاميين كانوا القوى السائدة في المعارضة خارج مناطق البربر. وكان تأثيرهم من زوايا عديدة يشبه نفوذ " الديمقراطيين " في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتى في السنة التالية. واجتمع لهم القبول الذى أبداه قطاعات من النظام في الماضى، والدعم الذى يحصلون عليه من بعض الدول الأجنبية القوية

(على سبيل المثال، التمويل من السعودية) مع قدرتهم على التماسك حول رسالة ركزت مرارة جماهير السكان:

" بدا الإسلاميون بفضل عددهم، وشبكة المساجد الخاصة بهم، وقدرتهم على التحرك عفويا كرجل واحد، كأنما يطيعون أوامر لجنة مركزية سرية، كما لو أنهم الحركة الوحيدة القادرة على تحريك الجماهير والسيطرة على مجرى الأحداث. فقد كانوا هم الذين يتقدمون كمتحدث باسم المتمردين، والقادرين على فرض أنفسهم كقادة للحركة في المستقبل... وبعد أن هدأ النظام، الذى لم يعرف مع من يتفاوض، بنادقه الآلية، كان يبحث عن القادة والممثلين القادرين على صياغة مطالب والسيطرة على الجماهير الذين يتحركون بعنف لا يمكن السيطرة عليه. لذلك استقبل الشاذلى عباس مدنى، وبلحاج ومهنى (أشهرالزعماء الإسلاميين) ".(٧٩)

وقد أصبحت الحركة الإسلامية، المنظمة الآن في جبهة الانقاذ، مؤثرة في الشهور التى تلت ذلك لدرجة أنها كانت قادرة على السيطرة على معظم الدوائر الهامة في انتخابات يونية ١٩٩٠ المحلية، وبعد ذلك حصلت على أكبر عدد من الأصوات في الانتخابات العامة في ديسمبر ١٩٩١، برغم تعرضها للقمع الشديد. ألغى العسكريون الجزائريون الانتخابات لمنع الإسلاميين من تشكيل الحكومة. ولكن لم يوقف ذلك التأييد الجماهيرى للاسلاميين خالقة ظروف حرب أهلية تقريبا في البلاد، مع سقوط مناطق بكاملها تحت السيطرة الكاملة للجماعات الإسلامية المسلحة.

وبرغم ذلك كان صعود النفوذ الإسلامي مصحوبا بخلط متزايد حول ما تدعو اليه جبهة الانقاذ الإسلامية. فأثناء سيطرتها على المدن الرئيسية بين يونيو ١٩٩٠ ومايو ١٩٩١،:

"كان التغيير الذى أحدثوه متواضعا؛ أى اغلاق البارات، الغاء الحفلات الموسيقية، الحملات – في أوقات العنف – من أجل "احتشام النساء " وضد أطباق استقبال الأقمار الصناعية المنتشرة التى " تسمح باستقبال الأفلام الغربية الجنسية"... ولم يعد مدى (أشهر قادة جبهة الانقاذ الإسلامية) ولا مجلس شورى الجبهة برنامجا سياسيا اجتماعيا حقيقيا ولا دعوا الى مؤتمر لمناقشته. وقصر مدنى نفسه على القول بأن ذلك سوف يحدث بعد تشكيل الحكومة".(٨٠)

وما فعلته جبهة الانقاذ فعلا هو إعلان معارضتها لمطالب العمال بتحسين الأجور. وقد عارضت في هذه الشهور اضراب عمال النظافة في الجزائر العاصمة، واضراب عمال الخدمة المدنية، وكذلك الاضراب العام ليوم واحد الذى دعى اليه اتحاد النقابات " الحكومة " السابق. وبرر مدنى كسر اضراب عمال النظافة في تحقيق صحفي، شاكيا أن ذلك كان يجبر أناس محترمين مثل الأطباء والمهندسين على كنس الشوارع:

"من حق عمال النظافة أن يضربوا، ولكن ليس من حقهم احتلال العاصمة وتحويل البلاد الى مزبلة. ويوجد اضرابات تقوم بها النقابات وتصبح مجالا لنشاط المفسدين، أعداء الله والوطن، الشيوعيين وآخرين، الذن ينتشرون في كل مكان بسبب تراجع كوادر جبهة التحرير الوطنية... (٨١)

تناسب هذا الموقف " المحترم " تماما مع مصالح الطبقات التى مولت الإسلاميين منذ زمن الاصلاح الزراعى حتى الآن وتناسب أيضا مع هؤلاء الاعضاء الناجحين من البرجوازية الصغيرة الذين كانوا جزءا من جبهة الانقاذ الإسلامية – أى الأساتذة، والأئمة الراسخين، ومعلمى المدارس الثانوية. وقد جذب أيضا أولئك الريفيين الذين مكنهم ولاؤهم للحزب الحاكم السابق – أى جبهة التحرير – من الرخاء المادى، وأصبحوا فلاحين رأسماليين ناجحين أو رجال أعمال أعمال صغار. ولكنه لم يكن كافيا لارضاء جماهير الفقراء في الحضر الذين تطلعوا الى جبهة الانقاذ أملا في الخلاص أو اجبار الطبقة الحاكمة والعسكريين على التراجع وقبول حكومة تشكلها جبهة الانقاذ الإسلامية.

في نهاية مايو ١٩٩١ تحول قادة جبهة الانقاذ، أمام تهديدات العسكريين بافساد العملية الانتخابية بدلا من خطر انتصار الجبهة، و" قاموا بانتفاضة حقيقية أعادت الى الأذهان أكتوبر ١٩٨٨: قنابل مولوتوف، غازات مسيلة للدموع، متاريس، ودفع على بلحاج، الإمام الزعيم، بعشرات الآلاف من المتظاهرين الى الشوارع. (٨٢) وسيطرت جبهة الانقاذ لبعض الوقت على مركز العاصمة الجزائرية، يدعمها عدد هائل من الشباب الذين بدا لهم الاسلام والجهاد البديل الوحيد عن بؤس المجتمع الذى يدافع عنه العسكريون.

في الواقع، كلما ازدادت جبهة الانقاذ قوة، كلما ترددت بين الهدوء والثورة، داعية الجماهير الى عدم الاضراب في مارس ١٩٩١ وبعد ذلك دعتهم الى الاطاحة بالدولة بعد شهرين فقط في مايو.

ظهرت نفس التناقضات في الحركة الاسمية في الثلاث سنوات منذ أن تزايدت حدة حرب العصابات في كل من المدن والريف. " وقد أثار الحكم على عباس مدنى وعلى بلحاج بالسجن ١٢ عاما ثورة كبرى داخل جبهة الانقاذ وانقساما في قواعدها. وأشاع حجز آلاف الأعضاء والمتعاطفين معها في معسكرات في الصحارى الارهاب في المدن وحرب العصابات في الريف (٨٣) . ونشأت منظمتين مسلحتين، هما الحركة الإسلامية المسلحة، والجماعات الإسلامية المسلحة، التى حصلت على تأييد الجماعات المسلحة في كل مناطق البلاد. ولكن كانت الحركتان السريتان تتميزان " بالانقسامات الداخلية": (٨٤)

" في مقابل "الاعتدال "المفترض للحركة الإسلامية المسلحة، التى تغتال "فقط" ممثلى "النظام الفاجر"، تعرض الجماعات الإسلامية المسلحة الجهاد المتطرف، والذى يختار ضحاياه من الصحفيين، والكتاب، والشعراء والنسويين والمثقفين... منذ نوفمبر ١٩٩٣ قتل ٣٢ من الأئمة المسلمين المعتدلين والنساء المتبرجات...

أدت معارك قتل الأخوة بين الحركة الإسلامية المسلحة والجماعات الإسلامية المسلحة الى ضحايا كثيرة.. وينسب البعض موت ٧ من الارهابيين الى هذه المشاجرات، ولكن البعض الآخر ينسبه الى العصابات التى ينظمها البوليس. (٨٥) وتتهم الجماعات الإسلامية المسلحة القادة التاريخيين لجبهة الانقاذ بالانتهازية والخيانة وبالتخلى عن برنامجهم في التطبيق الكامل للشريعة." (٨٦)

مفترق الطرق:

تبين تجربة الحركة الإسلامية في مصر والجزائر كيف أنها يمكن أن تنقسم حول مسألتين مختلفتين: أولا حول ضرورة اتباع مرحلة تطول أو تقصر من الاصلاح السلمى للمجتمع القائم أو حمل السلاح؛ ثانيا حول ضرورة الكفاح لتغيير الدولة أو تطهير المجتمع من " الكفر".

في مصر تعتمد الأخوان المسلمون حاليا على سياسة إصلاحية تتوجه نحوالدولة. وهى تحاول أن تعمل داخل المجتمع الحالى بانية قوتها حتى تصبح معارضة شرعية، مع سيطرة إعلامها الخاص على مختلف منظمات مهنيى الطبقة الوسطى والتأثير داخل قطاعات أوسع من السكان من خلال المساجد والجمعيات الخيرية الإسلامية. وهى أيضا تميل الى التأكيد على الجهاد لفرض احترام القيم الإسلامية من خلال حملات اعلامية تدعو النظام القائم الى ادخال الشريعة في القانون الرسمى.

هذه هى الاستراتيجية التى تبدو أيضا أنها تجذب قطاعا من قيادة جبهة الانقاذ المسجونين أو المنفيين في الجزائر. في الشهور القليلة الأولى من ١٩٩٤ كانت هناك تقارير عن مفاوضات بينهم وبين قسما من النظام، مع الاتفاق حول اقتسام السلطة لتطبيق جزء من الشريعة. هكذا جاء في تقرير لصحيفة الجارديان في أبريل ١٩٩٤ أن رباح كبير، أحد قادة جبهة الانقاذ المنفيين، رحب بتعيين رضا مالك، أحد قادة طبقة التكنوقراط، رئيسا جديدا للوزراء في الجزائر، " كحدث ايجابى " (٨٧) – بعد يومين فقط من استنكار جبهة الانقاذ لآخر اتفاق بين الحكومة وصندوق النقد الدولى. (٨٨)

يرى بعض المعلقين المحنكين أن هذه الصفقة تقدم أفضل الطرق للبرجوازية الجزائرية لانهاء حالة عدم الاستقرار والحفاظ على موقعها. هكذا يرى جوان جويتسلولو أن العسكريين كان يمكن أن يتجنبوا الكثير من المتاعب من خلال السماح لجبهة الانقاذ الإسلامية بتشكيل الحكومة بعد انتخابات ١٩٩١:

" ستعوق الظروف التى تصعد فيها الى السلطة تطبيق برنامجها بشكل فعال. فمديونية الجزائر، واعتمادها في التمويل على الدائنين اليابانيين والأوروبيين، والفوضى الاقتصادية والمشاعر العدائية للقوات المسلحة كانت ستشكل عقبة كبيرة يصعب على حكومة جبهة الانقاذ التغلب عليها... فعجزها عن الوفاء بوعودها الانتخابية كان شيئا معروفا مسبقا. وعلى مدار سنة من حكومة محاصرة بقوة من أعدائها، كانت جبهة الانقاذ ستفقد جزءا كبيرا من مصداقيتها"(٨٩) .

تتناسب "الاصلاحية في الحركة الإسلامية "مع احتياجات طبقات اجتماعية هامة معينة – أى أصحاب الأراضى التقليديين والتجار، والبرجوازية الإسلامية الجديدة (مثل أعضاء الأخوان المسلمين الذين أصبحوا مليونيرات في السعودية) وذلك القطاع من الطبقة الوسطى الإسلامية الجديدة الذين حظوا بالتحرك لأعلى. ولكنها لا ترضى الشرائح الأخرى الذين تطلعوا الى الحركة الإسلامية – أى الطلاب والخريجيين الفقراء، أو فقراء الحضر. وكلما سعت جبهة الانقاذ والأخوان المسلمون الى المساومة، كلما تطلعت هذه الشرائح الى اتجاه آخر، معتقدين أن أى تنازل عن مطلب إدخال اسلام السنوات الأولى يعد خيانة.

ولكن من الممكن أن يوجه رد فعلهم نحو ذلك في اتجاهات مختلفة. فربما يظل سلبيا في مواجهة الدولة، داعين الى استراتيجية الانسحاب من المجتمع، ويكون التشيد فيها على الدعوة وتنقية الأقليات الإسلامية، بدلا من التشديد على المواجهة. كانت تلك هى الاستراتيجية الأصلية لجماعة شكرى في مصر في منتصف السبعينات، وهى أيضا رؤية بعض الدعاة لراديكاليين القلقين من قوة الدولة اليوم.

أو من الممكن أن تتحول الى الصراع المسلح. ولكن بالضبط كما يمكن أن يوجه الصراع السلمى ضد الدولة أو ضد مظاهر الفجر وحدها، كذلك يمكن أن يكوون الصراع المسلح صراعا للاطاحة بالدولة، أو حركات مسلحة ضد "أعداء الاسلام "وسط السكان عموما – الأقليات العرقي والدينية، والنساء المتبرجات، والأفلام الأجنبية، ونفوذ "الامبريالية الثقافية "وهكذا. ربما يبدو منطق الموقف هو دفع الناس نحو خيار الصراع المسلح ضد الدولة. ولكن يوجد منطق مضاد قوى في العملية، تقع جذوره في التكوين الطبقى لاتباع الحركة الإسلامية.

فكما رأينا، ان القطاعات التى تؤيد لاحركة الإسلامية من الطبقات المستغلة تنسحب بشكل طبيعى الى اتجاهاتها الأكثر إصلاحية. وحتى عندما لايكون لهم خيار الا حمل السلاح، فهم يريدون أن يفعلوا ذلك بطريقة تقلل الى الحد الأدنى الاحتجاج الاجتماعى الأوسع. فهم يسعون الى الانقلابات بدلا من الحركة الجماهيرية. واذا حدث ذلك رغما عنهم، يحاولون انهاءه بأسرع وقت ممكن.

يستطيع فقراء البرجوازية الصغيرة الجديدة التحرك أبعد بكثير نحو مفهوم الحركة المسلحة. ولكن موقعهم الاجتماعى الهامشى الخاص يمنعها من رؤية ذلك كتطور من الصراعات الجماهيرية مثل الاضرابات. وبدلا من ذلك تتطلع الى المؤامرات التى تعتمد على الجماعات الصغيرة المسلحة – المؤمرات التى لا تؤدى الى التغيير الثورى الذى أراده قادتهم، حتى عندما يحققون أهدافهم المباشرة مثل اغتيالهم للسادات. ومن الممكن أن تحدث خللا كبيرا في المجتمع الحالى ولكنها لا تستطيع تثويره.

كانت هذه تجربة الشعبويين في روسيا قبل ١٩١٧. وكانت تجربة جيل من الطلبة والخريجين في كل منطقة العالم الثالث الذين اتجهوا نحو الجيفارية والماوية في أواخر الستينات (والذين ما زال أتباعهم يحاربون في الفلبين وبيرو). وهى تجربة الإسلاميين المسلحين في مواجهة الدولة في مصر والجزائر اليوم.

ربما يكون الطريق الوحيد للخروج من هذا المأزق أن يبنى الإسلاميون أنفسهم على أساس طبقات غير هامشية ومتوسطة الحجم. ولكن الأفكار الأساسية للحركة الإسلامية تجعل ذلك مستحيلا حيث يدعو الاسلام، حتى في شكله الأكثر راديكالية، الى العودة الى مجتمع الأمة الذى يوفق بين الأغنياء والفقراء، وليس الإطاحة بالآغنياء. هكذا يطرح البرنامج ألإقتصادى لجبهة الإنقاذ خطة "للمشروعات الصغيرة "التى تنتج "الاحتياجات المحلية "مدعية أن ذلك بديلا عن "الرأسمالية الغربية "والتى لا تتميز فعلا عن الدعاية الانتخابية للعديد من الأحزاب الليبرالية والمحافظة المنتشرة في العالم. (٩٠) وشددت في محاولاتها لتشكيل "نقابات إسلامية "في صيف ١٩٩٠ على واجبات العمال، لأن النظام القديم منحهم حقوقا كثيرة و"عود العمال على الكسل "كما تدعى. وأصرت على أن الصراع الطبقى "لا يوجد في الإسلام "، لأن النصوص المقدسة لم تتحدث عنه. والمطلوب هو أن يعامل صاحب العمل عماله بنفس الطريقة التى يأمر بها القرآن المؤمنين لمعاملة عبيدهم – أى "أخوة".(٩١)

وليس غريبا أن أى من "الجماعات الإسلامية "لم تنجح في أى مكان في بناء قاعدة لها في المصانع حتى ولو عشر القوة التى بنوها في القطاعات الأخرى. ولكن بدون هذه القاعدة لن يمكنها بمفردها تحديد مسار التغيير الإجتماعى، حتى لو نجحت في هدم النظام الحالى. فأولئك الذين يعيشون على هامش المجتمع يمكنهم في ظروف معينة إثارة أزمة كبرى داخل نظام غير مستقر فعلا. ولا يمكنهم تحديد كيفية الخروج من هذه الأزمة.

ربما تستطيع الجماعات الإسلامية إثارة تلك الأزمة في أحد الأنظمة الموجودة ولذلك يستطيعون عزل قادتها الحاليين. ولكن ذلك لن يمنع الطبقة الحاكمة، التى سيطرت في ظل هؤلاء القادة، من الاتفاق مع الإسلاميين الأقل نظالية للتمسك بالسلطة. وبعد تلك الأزمة بوقت قصير يواجه المناضلون الإسلاميون أنفسهم آلة الموت الجبارة على أيدى الدولة.

إنه ذلك الضغط من الدولة هو الذى يشجع بعضهم للتحول عن الهجوم المباشر على النظام إلى المهمة السهلة في مهاجمة 'مظاهر الكفر"الأقليات – الإتجاه الذى يشدهم في المقابل للإقتراب من تيار الإسلاميين الإصلاحيين"المعتدل'.

في الواقع، يوجد دياليكتيك معين داخل الحركة الإسلامية. يتعلم الإسلاميون الذين يناضلون ضد الدولة، بعد تحمل الجزء الأكبر في الصراع المسلح الفاشل، الطريق الصعب في إحناء الرؤوس، وبدلا من ذلك يتحولون للصراع من أجل فرض السلوك الإسلامي إما مباشرة أو من خلال الإصلاحية الإسلامية. وهكذا يظهر مناضلون جدد باستمرار ينشقون ويتجهون الى طريق الحركة المسلحة حتى يتعلم هؤلاء أيضا حدود الحركة المسلحة المنعزلة عن قاعدة اجتماعية مؤثرة.

لا يوجد تحرك أوتوماتيكى من معرفة حدود الحركة الإصلاحية الإسلامية الى الإتجاه نحو السياسة الثورية. بل تؤدى حدود الإصلاحية إلى إما جماعات وعصابات إرهابية تحاول التحرك دون قاعدة حماهيرية، أو في اتجاه الهجوم الرجعى على ضحايا مشكلات النظام. ولأن كلا الاتجاهين يعبر عن نفسه بنفس اللغة الدينية، يوجد غالبا سيادة لاتجاه على آخر. فمن يريدون الهجوم على النظام والإمبريالية يهاجمون الأقباط والبربر والنساء المتبرجات. ومن لديهم كراهية غريزية للنظام ككل يقعون في فخ الرغبة في التفاوض حول فرض الشريعة من خلال الدولة. وعندما توجد انقسامات بين المجموعات المتصارعة – أحيانا ما تكون عنيفة لدرجة أنهم يشرعون في قتل بعضهم البعض كمرتدين عن الإسلام الحقيقى – يعبر عنها بطرق تخفي الأسباب الإجتماعية الحقيقية وراءها. لو أن أحد الإسلاميين المتطلعين لأعلى كف عن الجهاد، فان ذلك يبرهن فقط على أنه شخصيا "مسلم سئ، (أو حتى مرتد)؛ وهذا لا يمنع في حد ذاته إسلاميا آخرا متطلعا لأعلى من أن يكون " مسلما جيدا "

الـتـجربـة الإيـرانـيـة:

يهيمن النظام الإسلامي في ايران على المناقشات حول الاحياء الإسلامي، مثلما يهيمن سجل الستالينية على المناقشات حول الاشتراكية، وغالبا حتى بين اليسار يتوصلون الى استنتاجات مماثلة. ويعرف المسلمون، بنفس الدرجة التى كان يعرف بها الستالينيون يوما ما، كأخطر القوى السياسية جميعا، القادرة على فرض شمولية تمنع أى تطور تقدمى، وضرورى من أجل مواجهتهم بالنسبة لليسار أن يتحد مع القطاعات الليبرالية من البرجوازية، (٩٢) أو حتى تأييد خكومات غير ديمقراطية في قمعها للجماعات الإسلامية(٩٣). وهذا الرأى يبالغ في تقدير تماسك الحركة الإسلامية وينسب اليها القدرة على صنع الاحداث التاريخية والتى في الواقع ليست لديها، وهذا مبنى على فهم خاطئ لدور الاسلام أثناء وبعد االثورة الايرانية في عام ١٩٧٩.

تلك الثورة لم تنتج عن الحركة الإسلامية، ولكن عن التناقضات الكبيرة التى ظهرت في نظام الشاه فى منتصف واواخر السبعينات، حيث فاقمت الازمة الاقتصادية الانقسامات العميقة الموجودة بين رأسمال المال الحديث المرتبط بالدولة والقطاعات الاخرى التقليدية المتمركزة حول البازار (التى كانت تسيطر على ثلثى تجارة الجملة وثلاثة ارباع تجارة التجزئة)، في نفس الوقت كانت تعمق التونرات داخل جماهير العمال والاعداد الهائلة من الفلاحين السابقين الذين أتوا كالفيضان الى المدن. كانت المؤسسة الدينية الممتعضة من النظام تشترك في مظاهرات الاحتجاج التى يقوم بها المثقفون والطلاب والتى أنتشرت لتضم فقراء الحضر في سلسلة من الصدامات الكيرى مع البوليس والجيش، وشلت موجة من الاضرابات الصناعة وتعطلت نتيجة لتلك الاضرابات أهم حقول البترول. وبعد ذلك وفي اوائل فبراير ١٩٧٩ نجحت كل من عصابات الفدائيين اليسارية والعصابات الإسلامية اليسارية من مجاهدى خلق في اثارة انقلابات كبرى في القوات المسلحة، واحدثت انهيارا ثوريا للنظام القديم.

كان ينسب الى الزعيم الإسلامي المنفي ايات الله خومينى جزء كبير من الحركة الصاعدة، وكان أسمه يرمز الى معارضة الملكية، وكان يقيم خارج باريس حيث نقطة الاتصال بين ممثلى مختلف القوى المشتركة في الحركة – أى البازاريين ورجال الدين القريبين منهم والمعارضة البرجوازية الليبرالية والنقابات المهنية والطلاب وحنى العصابات اليسارية – ومع عودة الخومينى الى طهران في يناير ١٩٧٩ أصبخ القائد الرمزى للثورة. وبرغم ذلك كان أبعد من ان يسيطر على الاحداث في هذه المرحلة، ختى برغم حاسة التكتيك السياسى الحادة التى كان يمتلكها، فقد نمت الاحداث الرئيسية التى أسقطت الشاه – أى انتشار الاضرابات والانقلابات داخل القوات المسلحة – مستقلة تماما عنه، وكذلك في الشهور التى تلت الثورة لم يكن الخومينى قادرا على فرض أى سلطة على الانتفاضة الثورية أكثر من أى شحص اخر، ففي المدن مارست لجان مخلية متنوعة سلطة الامر الواقع. وكانت الجامعات تحت سيطرة اليسار والمجاهدين وفي المصانع قاتلت الشورى (مجالس العمال باللغة الفارسية) من اجل السيطرة مع الادارة وغالبا ما طردوا عملاء نظام الشاه وتولوا عملية ادارة الانتاج بأنفسهم. وبدأت حركات في المناطق التى يسكنها اقليات عرقية – كردستان في الشمال الغربى وخوزيستان في الجنوب الغربى المتحدث بالعربية – تقاتل من اجل تقرير المصير. وفي القمة كانت هناك مجموعتان تتطلعان الى العملية، احداهما كانت الحكومة الاقليمية برئاسة بازارجان "اسلامى معتدل" ومرتبط بالقطاعات الحديثة من البرجوازية فقد اسس جمعيات الطلاب الإسلامية في الخمسينات، وبعدها نقابة المهندسين الإسلامية، والثانية مجموعة المجلس الثورى الذى رشحه الخومينى وكان يعمل كمركز بديل للسلطة وتجمعت حوله مجموعة من رجال الدين والمثقفين الإسلاميين المرتبطين بعلاقات مع البازار.

واخيرا استطاعت المجموعة الملتفة حول الخومينى اقامة سلطة كاملة لنفسها وكذلك الحزب الجمهورى الإسلامي ولكن ذلك استغرقهن سنتين ونصف من المناورات بين القوى الاجتماعية المختلفة والتى كان من الممكن بسهولة ان تتفوق عليهم. وخلال معظم عام ١٩٧٩ تعاونوا مع بازارجان في محاولة لاحكام السيطرة على مجالس العمال في المصانع والحركات الوطنية

الانفصالية. وقد استخدموا لغة اسلامية لتحريك قطاعات من البروليتاريا الرثة ورائهم في عصابات، أى حزب الله، حتى يهاجم اليسار، وفرض القيم الإسلامية

(ضد النساء اللاتى يرفضن ارتداء الخمار) ولتشترك مع الجيش في اخماد الحركات الانفصالية. وكانت هناك نماذج للقمع الوحشى مثل اعدام حوالى مائة شخص بسبب " الجرائم الجنسية " أى الزنا والمثلية الجنسية، وقتل بعض المناضلين اليساريين، واطلاق النار على المعارضين الذين ينتمون الى الاقليات القومية، مثلما يحدث في أى محاولة لاعادة ترسيخ المجتمع البرجوازى بعد انتفاضة ثورية عظيمة. ولكن المحصلة الاجمالية للحزب الجمهورى الإسلامي لم تكن ايجابية جدا في اوائل خريف عام ١٩٧٩، فمن ناحية، دغمت تلك النجاحات التى احرزها في التعامل مع الثورة موقف المجتمعين حول بازارجان الذى تزايد الشقاق بينهم وبينه باستمرار وكما بينت ذلك دراسة لحركة بازارجان:

"بعد عام واحد من سقوط الشاه كان يتضح ان الطبقات الوسطى الافضل تعليما وكذلك القوى السياسية التى يؤيدونها (أى بازارجان) كانت توسع بسرعة من تأثيرها، وتصبح مسيطرة في مواقع معينة في وسائل الاعلام ومؤسسات الدولة وخاصة المؤسسات التعليمية.. ومع تفكك وحدة القثر الإسلامية لم تستطع اللجان الإسلامية الحصول على تأييد غالبية الموظفين في المؤسسات التابعة لها. "(٩٤)

ومن الناحية الاخرى، كانت هناك حالة من غدم الاستقرار هددت بالافلات من سيطرة الخومينيين وأدت الى النمو الهائل لكل من اليسار العلمانى واليسار الإسلامي، فقد كان اليسار مسيطرا في أوساط الطلاب برغم الموجة الاولى من القمع الذى تعرض له في أغسطس ١٩٧٩، وكانت مجالس شورى المصانع قد انهكت نتيجة لموجة القمع ذاتها، لكن استمر الكثير منها قائما لعام آخر، (٩٥) وبالطبع لم يكن استعداد العمال للصراع قد انتهى – ففي عام ٧٩-١٩٨٠ كان هناك ٣٦٠ اضرابا متنوعا " الاعتصام بالمصنع أو احتلاله " و١٨٠ اضرابا في ٨٠-١٩٨١ و٨٢ اضرابا في ٨١-١٩٨٢. (٩٦)

تمكن الحزب الجمهورى من استعادة سيطرته على الموقف من خلال القيام بتحول ثورى في نوفمبر ١٩٧٩ بتنطيمه لاقلية من الطلاب الذين اتبعوا شعاراته بدلا من شعارات الفدائيين أو مجاهدى خلق لاحتلال سفارة الولايات المتحدة والاحتفاظ بموظفيها كرهائن مثيرا بذلك مواجهة كبرى مع أكبر قوة امبريالية في العالم. وتذكر دراسة أخرى لهذه الفترة أن " الطلاب الاصولين في المنظمات الإسلامية الذين كان ينظر اليهم – قبل اسابيع قليلة من منافسى الجماعات – على انهم رجعيين وطفوليين، بدوا الان كثوريين نشطيين وكانت الجماهير تحيهم عندما يظهرون على بوابة السفارة الامريكية اثناء لقاءاتهم مع الصحفيين ".(٩٧)

لقد كان التحول الى موقف راديكالى معادى للامبريالية مصحوبا بموجة ثورية في سياسات الحزب الجمهورى الإسلامي في المصانع، فمن الدفاع عن المديرين القدماء تحول الى التحريض على عزلهم – برغم أن الهدف لم يكن سيطرة العمال على مجالس الادارة – وليحل محلهم مديرين اسلاميين ليتعاونوا مع المجالس الإسلامية التى كان اليساريون والمجاهدون معزولين عنها تلقائيا " ككفار". وحقق التحول الثورى شعبية جديدة للحزب الجمهورى الإسلامي، فقد بدا يضع سياسة معاداة الامبريالية موضع التنفيذ، تلك السياسية التى استخدمتها مجموعة البازارجان دعائيا خلال سنوات طويلة من معارضة الشاه ولكنهم الان يتخلون عنها لانهم يحاولون اقامة علاقة جديدة قوية بين ايران والولايات المتحدة. لئد كان أيضا يتحرك في ضؤ الشعارات الشعبية الهامة التى رفعت في الشهور التى تلت الثورة بواسطة القوى المتنامية لكل من اليسار العلمانى والإسلامي:

"كان احتلال الاصوليين للسفارة الامريكية قد ساعدهم على التغلب على بعض العقبات، ونتج عن ذلك مساعدة تلك الجماعات التى دافعت عن سلطة رجال الدين لتطبيق سياساتها والسيطرة على المؤسسات الحساسة التى كان يعمل فيها وتسيطر

عليها الطبقات الوسطى الافضل تعليما. فعندما هاجم الطلاب الموالون لرجال الدين بوابات السفارة الامريكية عاد أولئك الذين كان يشار اليهم كرجعيين الى الظهور كقادة ثوريين قادرين على اغراق القوى العلمانية وانصار التحديث معا... كان ذلمك بداية لتحالف جديد حيث كان بعض رجال الدين ومن لهم علاقات معهم من البازاريين قادة المجموعات الكبيرة من فقراء الطبقة الوسطى وكان فقراء الحضر هم القائمين بالوظائف". (٩٨)

لم تكن المجموعة الملتفة حول الخومينى فقط تزداد جماهيرية، بل أيضا كانت تخلق قاعدة أوسع بكثير لنفسها حيث عزلت أو على الاقل هددت بعزل قدماء المديرين والموظفين " الغير اسلاميين ". ففي الصناعة والاعلام والقوات المسلحة والبوليس بدأت طبقة جديدة من الناس في السيطرة على واعتمد كستقبلهم الوظيفي على قدرتهم على الدعاية للرؤية الخومينية للاسلام، وكذلك اولئك الذين تبقوا من هياكل السلطة القديمة اسرعوا في البرهنة على التزامهم الإسلامي من خلال تطبيق سياسة الحزب الجمهورى الإسلامي.

تبدى نجاح مجموعة الخومينى في توحيد قطاع كبير من الطبقة الوسطى وراءها – أى كل من البرجوتزية الصغيرة التقليدية في البازار وكثير من الجيل الاول من الطبقة الوسطى الجديدة – في صراعها من اجل السيطرة على مؤسسات السلطة، وكان سر نجاحها هو قدرتها على جعل اولئك الذين اتبعوها في كل مستويات المجتمع يوحدون بين الحماس الدينى مع الترقى الشخصى. فيستطيع الان كل من كان يعمل كمدير مساعد في شركة أجنبية ان يديرها تحت سيطرة الدولة وهو يشهر انه يؤدى واجبه الدينى في خدمة الامة، ويستطيع الان من كان يعيش في بؤس شديد بين البروليتاريا الرثة أن يحقق الذات بقيادة أحد مجموعات حزب الله في محاولاتها لتطهير المجتمع من " الرذيلة " و" الشيوعيين الكفرة "، كانت الفرصة المتاحة أمام هؤلاء الذين اختاروا خط الخومينى هائلة، حيث خلق الانتقال من بلد المديرين الاجانب والمحليين والتقنيين أثناء الشهور الاولى من الانتفاضة الثورية ١٣٠٠٠ وظيفة تحتاج لمن يشغلها، (٩٩) وأضاف تطهير "اللاسلاميين" من المديرين والموظفين وضباط الجيش الكثير الى مجموع تلك الوظائف.

ان الشئ المثير في الطريقة التى استخدمتها مجموعة الخومينى في طرد معارضيها وتأسيس نظام الحزب الواحد انه لم يكن خناك بالتحديد شئ اسلامى فيها، ولم تكن – كما يعتقد كثير من الناس الذين ارهبتهم المثابرة الدينية للنظام – نتيجة لخاصية ما غير عقلانية من العصور الوسطى للاصولية الإسلامية. لكنها في الواقع كانت مماثلة جدا للطريقة التى اتبعنت في اجزاء مختلفة من العالم بواسطة احزاب تعتمد على قطاعات من البرجوازية الصغيرة، وعلى سبيل المثال كانت هى الطريقة المستخدمة من قبل الاحزاب الشيوعية الضعيفة في جزء كبير من اوروبا الشرقية لتجعيم حكمها بعد ١٩٤٥. (١٠٠) ان النموذج الاولى للبرجوازى الصغير الذى يربط بين الانتماء الايديولوجى والترقى الشخصى يوجد في رواية الاب جوريو لبلزاك – أى اليعقوبى العصامى الذى يصنع ثروته من خلال استغلال الندرة الناتجة عن الانتفاضة الثورية.

لا يمكن لحزب سياسى يعتمد على تنظيم قطاع من البرجوازية الصغيرة حول الصراع من اجل الوظائف ان يصل الى السلطة في أية ظروف، فمعظم هذه المحاولات تنتهى الى لا شئ، لان التكوينات البرجوازية الصغيرة ضعيفة جدا حتى تتخدى سلطة الطبقات الحاكمة القديمة دون تحريك جماهير المجتمع الذى لا يستطيعون السيطرة عليه حينذاك، وهكذا، في الثورة البرتغالية عام ١٩٧٤-١٩٧٥ حاول الحزب الشيوعى تخلل مؤسسات السلطة التى سقطت وتمزقت في مواجهة المقاومة التى نظمتها القوى الرأسمالية العظمى من ناحية، وكذلك تصاعد نضالية العمال من أسفل من ناحية اخرى. هذه المحاولات يمكن أن تنجح فقط اذا كانت الطبقات الاجتماعية الرئيسية مشلولة لاسباب تاريخية معينة.

وكما وصفها تونى كليف في واحدة من التحليلات الماركسية الهامة، اذا كانت الطبقة الحاكمة القديمة ضعيفة جدا عن التشبث بالسلطة في مواجهة الازمة الاقتصادية الثورة من اسفل، بينما لاتمتلك الطبقة العاملة التنظيم المستقل الذى يسمح لها ان تصبح قيادة الحركة، هنا تستطيع قطاعات من الانتليجنسيا أن تقايض عى السلطة، شاعرة انها تحمل رسالة حل مشكلات المجتمع ككل:

"ان الانتليجنسيا حاسة لتاخر بلادهم التقنى، وبسبب مشاركتها في عالم العلوم وتكنولوجيا القرن العشرين، تكون مختنقة من تخلف بلادها الخاصة. يتأكد هذا الشعور من خلال " بطالة المتعلمين " المزمنة في هذه البلاد. وفي ظروف التخلف الاقتصادى العام يكون الامل الوحيد لمعظم الطلاب هو الوظيفة الحكومية، ولكن لا يوجد تقريبا ما يكفي من هذه الوظائف لهم. ان الحياة الروحية للمثقفين ايضا في ازمة فهم يشعرون بعدم الامان أو الانتماء داخل نظام يتأكل من خلال تأكل النماذج التقليدية وتحللها، ويفتقدون فيه للقيم الراسخة.

ويساعد التحلل الثقافي على نممو الحاجة الشديدة الى وحدة جديدة يجب ان تكون كلية وديناميكية لو كان لها ان تملاء الفراغ الاجتماعى والروحى، يجب ان توحد بين الانتماء الدينى والنضال القومى. انهم يسعون الى حركة ديناميكية توحد الامة وتفتح مجالات واسعة أمامها، ولكنها غى نفس الوقت ستمنحهم السلطة، وهم يأملون في الاصلاح من أعلى وسوف يسعدهم تسليم العالم الجديد الى أناس يعترفون بالجميل بدلال من ان يشهدوا حرطة تحرر من أناس واعين بانفسهم وينتظمون معا بحرية تكون نتيجته عالما جديدا لانفسهم، وهم يهتمون أقل من ذلك بكثير بالديمقراطية وكل هذا يجعل رأسمالية الدولة الشمولية هدفا جذابا جدا للمثقفين. " (١٠١)

برغم أن هذه الكلمات ككتبت عن جاذبية الستالينية والماوية والكاسترووية في بلاد العالم الثالث، فهى تتناسب تماما مع الانتليجنسيا الإسلامية حول الخومينى في ايران، ولم يكونوا كما يعتقد خطأ العديد من المعلقين اليساريين مجرد تعبير عن رأس المال التجارى " الطفيلى المتخلف البازارى التقليدى "(١٠٢) ولم يكونوا ببساكة تعبيرا عن الثورة البرجوازية المضادة الكلاسيكية. (١٠٣) فقد قاموا باعادة تنظيم ثورية للملكية والسيطرة على رأس المال داخل ايران حنى عندما تركوا علاقات الانتاج الرأسمالية كما هى، واضعين رؤوس الاموال الكبيرة التى كانت مملوكة للمجموغة الملتفة حول الشاه في أيدى مؤسسات الدولة ومؤسسات تابعة لها يسيطرون بأنفسهم عليها – وذلك بالطبع في صالح المقهورين، بتسمية الشركة التى احتلت الامبراطورية الاقتصادية الخاصة بالشاه مؤسسة المستقزين، وكما يذكر بُيّات،:

"كان احتلال الاسلامين للسلطة انعكاسا للفراغ في السلطة في دولة ما بعد الثورة، فلم تكن البروليتاريا ولا البرجوازية قادرة على فرض هيمنتها السياسية، ويجب التفتيش عن سبب عجزها في تطورهما التاريخى الذى يشهد على ضعف كلا منهما. "(١٠٤)

أو كما بينها كليف بالنسبة لانتليجنسيا بلاد العالم الثالث " أن قوتهم لها علاقة مباشرة بضعف الطبقات الاخرى وانعدام اثرها السياسى " (١٠٥) وكان ذلك بسبب اعتمادهم على الموازنة بين الطبقات الاجتماعية الرئيسية لمد سيطرتهم الخاصة على الدولة وقطاعات من رأس المال حيث كان على مجموعة الخومينى ضرب منظمات اليسار أولا ثم المنظمات البرجوازية القائمة على (بازارجان.. الخ) قبل أن تكون قادرة على تدعيم سلطتها. في عام ١٩٧٩ كان ذلك يعنى العمل نغ بازارجان ضد اليسار لاحماد الموجة الثورية، وبعد ذلك التلميح بشكل معين لليسار باحتلال السفارة الامريكية لعزل البرجوازية القائمة، وخلال الثمانينيات كان يعنى ترددا آخر (زجزاج) بالسماح لزعيم اسلامى آخر له علاقات مع البرجوازية القائمة هو "بن صدر" لتولى الرئاسة وبعد ذلك العمل معه لتدمير حصن اليسار أى الجامعات، وعندما أقترح الحزب الجمهورى الإسلامي ارسال العصابات الإسلامية، حزب الله، الى الجامعات لتطهيرها من العناصر المعادية للاسلام، كان بن صدر مسرورا بان يعلن:

"وافق كل من قادة الحزب الجمهورى والليبراليون على فكرة الثورة الثقافية نت خلال الفعل المباشر للجماهير الذين حرضوا على التظاهر في ساحات الجامعات.. كان ذلك بالنسبة لليبراليين وسيلة للتخلص من المحرضين اليساريين في النقابات العامة والمصانع والمناطق الريفية، حتى يمكن اعادة الاستقرار الاقتصادى والسياسى للبلاد.

احتلت عصابات حزب الله الجامعات، اصابة وقتلت أعضاء الجماعات السياسية التى كانت تعارض الثورة الثقافية، واحرقت الكتب والصحف التى أعتقد أنها "غير اسلامية"، وأغلقت الحكومة كل الجامعات والكليات لمدة ثلاثة سنوات تم خلالها اعادة كتابة مناهج الجامعات." (١٠٦)

وبرغم ذلك، حتى في هذا الوقت استمر الخومينيون في الحفاظ على جزء من صورة " اليسار " الخاصة بهم مستخدمين لغة معادية للامبريالية لتبرير ما يفعلون وقد أصروا على ان الحرب لفرض القيم الإسلامية ضرورية في الصراع ضد الاستعمار الثقافي وان اليسار، لانه كان قد قاوم ذلك، كان في الواقع يعمل لصالح الامبريالية. وساعدتهم الاخداث على تأكيد هذه الادعاءات، فقد شهدت نفس الفترة المحاولة الفاشلة للولايات المتحدة في اعادة احتلال السفارة من خلال ارسال طائرات هليكوبتر محملة بالسلاح (والتى اصطدمت مع بعضها البعض في الصحراء)، وكذلك مظاهرات الشيعة ضد الحكومة في البحرين، واعمال التمرد التى تناصر الخومينى في منطقة الاحساء الغنية بالبترول في السعودية واحتلال اسلاميون مسلحين للمسجد الحرام في مكة، ومحاوولة صدام حسين في العراق للتقرب من الولايات المتحدة وشياخات الخليج العربى باعلانه غزو ايران. استطاع الخومينى الاعلان، عن حق، ان الثورة مهددة من قوى متحالفة مع الامبريالية، وعن خطأ، انهم وحدهم يستطيعون الدفاع عنها. وليس عجيبا أن الخومينى نفسه اشار الى الهجوم " كمنحة آلهية "، سمحت الحاجة الى التحريك الجماهيرى الواسع ضد القوى الغازية في شتاء ٨٠ – ١٩٨١ لمؤيديه بتبرير احكام سيطرتهم على حساب كل من اليسار وجماعة بن صدر، ححنى استطاعوا في يونيو ويوليو ١٩٨١ أن يهزموها بتأسيس هيكل شمولى تقريبا.

ولكن لماذا لم يكن اليسار قادرا على اعاقة تقدم الحزب الجمهورى الإسلامي؟ فبالنظر الى الوراء، غالبا ما أدعى أن الخطأ يقع في فشل اليسار أن يفهم في الوقت المناسب الحاجة الى التحالف مع البرجوازية الليبرالية التقدمية، وهذه هى رؤية هاليداى، (١٠٧) ولكن، وكما رأينا، كانت البرجوازية الليبرالية بقيادة بازارجان وبعد ذلك بن صدر تتحالف مع الخومينى في حملته ضد مجالس الشورى في المصانع وحملته لتطهير الجامعات، وما فرق بينهم هو من الذى سيجنى ثمار نجاحاتهم ضد اليسار، وقد كان ذلك فقط عندما اكتشف الخومينى انه قد نسى أن بن صدر (وليس بازارجان الذى استمر حزبه في نشاطه الشرعى ولكن بلا تأثير) اشترك مع اليسار الإسلامي في مجاهدى خلق في محاولة فاشلة للاطاحة بالنظام.

كان الخومينون قادرون على التفوق على القطاع الليبرالى المزعوم من البرجوازية لانهم، بعد هزيمتهم لليسار، أستطاعوا عند ذاك استخدام الدعاية المعادية للامبريالية لتحريك قطاعات من فقراء الحضر ضد البرجوازية القائمة، لقد استطاعوا أن يلعبوا على الفجوة الواضحة بين الحياة البائسة للجماهير وأنماط الحياة "الغير اسلامية " للاغنياء ولم يستطع اليسار مقاومة المناورة من خلال مساندة القطاع الغنى المتفرنج من البرجوازية.

كان السبيل لهزيمة الخومينى حقا يقع في تعبئة العمال للصراع من أجل مصلحتهم الخاصة، كان ذلك من الممكن أن يدفع القطاع الليبرالى المزعوم من البرجوازية والحزب الجمهورى الإسلامي الى موقف دفاعى.

لعب صراع العمال دورا حيويا في الاطاحة بالشاه، وبعد ذلك كانت توجد صراعات هامة في المصانع الكبيرة بين مجالس المصانع والادارة. ولكن بمجرد أن انزاح الشاه، نادرا ما أنتشرت صراعات العمال خارج حدود المصاننع المتفرقة للمنافسةعلى قيادة

المقهورين والمستغلين، لم تصبح مجالس المصانع أبدا مجالسا للعمال على نمط سوفيتات روسيا في ١٩٠٥ و١٩١٧، (١٠٨) وبسبب هذا الفشل لم تفلح أبدا في جذب جمهور العمال العاديين والحرفيين المستقلين وفقراء التجار وراءها – أى حثالة البروليتاريا – الذين عباءهم الخومينيون ضد اليسار تحت شعارات دينية.

كان هذا الضعف في حركة العمال جزئيا نتيجة لعوامل موضوعية، فكان هناك أنقسام داخل الطبقة العاملة بين أولئك العاملين في القطاع الحديث في المصانع الكبيرة وهؤلاء العاملين في القطاعات التقليدية في الورش الصغيرة (والتى معظمها كانت تدار من أصحابها أو أعضاء العائلة). وكانت المناطف التى يسكنها العمال غالبا يسودها عدديا القطاعات البائسة من البرجوازية الصغيرة، فقد كان يوجد ٧٥٠ الف تاجر ومن الطبقة الوسطى، وتجار صغار، في طهران في ١٩٨٠ في مقابل ٤٠٠ الف عامل في المؤسسات الصناعية الكبيرة. (١٠٩) وكانت أعداد كبيرة جدا من العمال جديدة على الصناعة ولديهم تراث ضئيل من الصراع الصناعى – ٨٠% منهم كانوا من أصول ريفية وكل عام تغرق الاحياء بحوالى ٣٣٠ الف من الفلاحين السابقين، (١١٠) وكان ثلثهم فقط متعلما ولذلك كان قادرا على قراءة الاعلام اليسارى، برغم أن ٨٠% كانوا يمتلكون جهاز تليفزيونات. وأخيرا كان حجم القمع في ظل الشاه يعنى أن عدد المناضلين الموجودين في أماكن العمل كان قليلا جدا.

ولكن عجز حركة العمال عن حيازة قيادة الحركة الجماهيرية الاوسع لم يكن نتيجة لعوامل مموضوعية فقط، ولكنه كان نتاجا للاخطاء السياسية لقوات الجناح اليسارى الهائلة التى كانت موجودة في الشهور التالية للثورة. تمتع الفدائيون ومجاهدى خلق بمؤتمرات حضرها الالاف، وحصل المجاهدون على ربع الاصوات في طهران في انتخابات ربيع ١٩٨٠ ولكن تراث المجاهدين والفدائين كان يعتمد على العصابات، وأهتموا قليلا بالنشاط حول المصانع، كانت مواقعهم القوية في الجامعات وليست في المناطق العمالية. هكذا كان لدى مجاهدى خلق خمسة جبهات للنشاط: منظمة سرية للاعداد للصراع المسلح وجبهة شبابية وجبهة المرأة وجبهة البازاريين وجبهة العمال وكان من الواضح أن الاولوية ليست لجبهة العمال.

وأكثر من ذلك، لم يكن لدى المنظمات اليسارية الكبيرة الكثير، حتى عندما أنضم اليها مناضلين من العمال، ففي الاشهر الثمانية الاولى والحاسمة من الثورة وجهوا فقط انتقادات محدودة للتظام الجديد والتى وجهت بشكل أساسى حول فشله في تحدى الامبريالية. كان مجاهدوا خلق مثلا:

"يتمسكون بقوة سياسة تجنب المواجهات مع الحكومة ذات الطابع الدينى، ففي اواخر فبراير عندما نظم الفدائيون مظاهرة لاكثر من ٨٠ الف في جامعة طهران مطالبين بالاصلاح الزراعى، وانهاء الرقابة على الصحف وحل القوات المسلحة، وقف المجاهدون بعيدا عن الاحداث. وفي اوائل مارس عندما احتفلت النساء ذوات التعليم الغربى باليوم العالمى للمرأة بالتظاهر ضد مراسيم الخومينى لالغاء قانون حماية الاسرة، وفرض ارتداء الخمار في مكاتب الحكومة، وطرد "الجنس الادنى" من القضاء، حذر المجاهدون أن الامبريالية كانت تستخدم هذه الوسائل للتفريق. وفي اواخر مارس عندما هاجم رؤساء نادى متحمسون مكاتب جريدة " ايندجان " المعادية لرجال الدين، لم يقل المجاهدون شيئا، وعارضوا مقاطعة الاستفتاء حول الجمهورية الإسلامية وصراع الاكراد من أجل الاستقلال، وشددوا على أنه لو لم تستمر الامة متحدة وراء الامام الخومينى فربما يغرى ذلك المستعمرين على تكرار محاولتهم في ١٩٥٣. "(١١١)

وفي أغسطس وقف الممجاهدون صامتين عندما هاجمت عصابات مسلحة مكاتب الفدائيين، وتجنبوا تحدى مرشحى الحزب الجمهورى الإسلامي في انتخابات ١٩٧٩ لمجلس الشورى (الفقه) وبعد احتلال سفارة الولايات المتحدة أصبح اليسار أقل انتقادا للخومينى من ذى قبل. وكان الخومينى:

قادرا على شق المعارضة اليسارية تماما. وأعلن الان الخومينى أن كل المشكلات التى تنشأ في المصانع وفي أوساط النساء، والاقليات القومية ترجع الى الامبريالية الامريكية. وأن الامبريالية الامريكية هى التى تحارب الحكومة في كردستان، وفي طبريز، وفي تركمانسارا وخزرستان. وأن النساء اللائى يعارضن القوانين الإسلامية عميلات للصهيونية والولايات المتحدة. وأن العمال المعارضين للشورى عملاء للامبريالية.

سقط حزب تودة وراء رؤية الخومينى وأيد سياستة وانفصلت أيضا عن الصراع أكبر المنظمات اليسارية –الفدائيين، والمجاهدين والبايكار – منعزلين عن العمال المناضلين، والنساء، والاقليات القومية، والذين تمتلك في اوساطهم حضورا كبيرا."(١١٢)

استمر حزب توده (الشيوعى المؤيد للروس) وغالبية الفدائيين في تأييد الخومينى حتى عزز سلطته تماما في ١٩٨٢، حيث انقلب ضدهم بعد ذلك.

ومع مرور الوقت تراكمت أخطاء اليسار. فبينما كفت غالبية الفدائيين عن كل انتقاداتها للنظام بعد احتلاله لسفارة الولايات المتحدة، انتقل مجاهدوا مجاهدوا خلق اخيرا الى الاتجاه المعاكس، معربين عن معارضتهم العلنية للنظام بحلول اواخر ١٩٨٠ (أى بعد هجوم النظام على مؤيديهم في الجامعات). ولكن استراتيجيتهم في حرب العصابات حينذاك أدت بهم الى ان يلعبوا مباشرة في ايدى النظام من خلال الانضمام الى بن صدر لتوجيه صراع مباشر من أجل السلطة لم يكن له صلة على الاطلاق بالصراعات اليومية للجماهير. وعندما فشلت المظاهرات الجماهيرية في اسقاط النظام، هرب قادتهم الى المنفي، بينما قام مناضلوهم السريون بهجمات مسلحة على زعماء النظام: قدم تفجيير مكاتب الحزب الجمهورى الإسلامي في يونيو ١٩٨١، والذى نتج عنه موت أيات الله بيهاشتى (رئيس الحزب الجمهورى) والعديد من قادة وكوادر الحزب الجمهورى الإسلامي، عذرا "للعلماء" لفرض عهد من الارهاب ضد المعارضة لم تحدث في تاريخ ايران المعاصر. (١١٣)

كان اليسار يتحد مع ممثل البرجوازية القائمة في حملة الاغتيالات موجهة ضد شخصيات ترى الجماهير انها تلعب دورا ضد الامبريالية. ولم يكن غريبا أن فقراء البرجوازية الصغيرة ومؤيدى الحزب الجمهورى من حثالة البروليتاريا اتفقوا مع قادة الحزب ععلى حملتهم ضد اليسار. فكان من السهل على هؤلاء القادة وصف اليسار على أنه يعمل يدا بيد مع اعداء الثورة الامبرياليين – الرؤية التى حازت مصداقية اكبر بعد ذلك بسنتين عندما اشتركت منظمة مجاهدى الشعب في الهجوم على ايران الذى قام به الجيش العراقى.

في الواقع، كان المجاهدون يجسدون كل الاخطاء التى تميز البرجوازية الصغيرة في العالم الثالث، سواء كانت منظمة في أحزاب اسلامية أو ماوية أو وطنية، فهى ترى أن النضال السياسى يعتمد على أقلية تتحرك " كطليعة " بالانفصال عن صراع الجماهير. وتتحول المعركة من اجل السلطة الى انقلاب مسلح من ناحية والتحالف مع القوى البرجوازية القائمة من الناحية الاخرى. مع " قيادة " كهذه، ليس غريبا أن معظم العمال الثوريين كانوا عاجزين عن تحويل نضالاتهم في المصانع المتفرقة الى حركة قادرة على توحيد جماهير فقراء الحضر والفلاحين وراءهم، ولذلك تركوا فراغا استطاع الحزب الجمهورى الإسلامي أن يملاءه."

لم يكن كل اليسار سئيا مثل المجاهدين، وغالبية الفدائيين وحزب توده. ولكن هؤلاء شكلوا القوى الرئيسية التى تطلع اليها هؤلاء الذين أثارتهم التجربة الثورية. وكانت زلاتهم عاملا هاما في اتاحة الفرصة لمجموعة الخومينى لاستعادة المبادرة واعادة تشكيل دولة ضعيفة الى اداة قوية قادرة على القمع الدموى.

وأخيرا، حتى هؤلاء اليساريون الذين لم يرتكبوا آخطاء خاصة بهم، فقد نشأوا جميعا على تراث ماوى أو ستالينى والذى جعلهم يبحثون عن قطاع " تقدمى " من البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة لقيادة الصراع. واذا قرروا أن حركة معينة كانت من " البرجوازية التقدمية " أو " المعادية للامبريالية " يسقطون أى انتقاد يوجه ضدها، ومن ناحية أخرى، لو قرروا أن حركة معينة لم تكن من " البرجوازية الصغيرة التقدمية "، اذن يقررون أنها لم ولن تستطيع الدخول في اى صراع مع الامبريالية. انهم لايدركون أنه مرة بعد أخرى في بلاد العالم الثالث يضطر قادة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، من أنصار الرأسمالية والرجعين من حيث اتجاهاتهم الاجتماعية، الى الدخول في صراعات مع الامبريالية رغما عنهم. كان ذلك صحيحا،على سبيل المثال، بالنسبة لكمال اتاتورك في تركيا، وجريفز ومكاريونس في قبرص، وكينياتا في كينيا، ونهرو وغاندى في الهند، مؤخرا بالنسبة لصدام حسين في العراق. وغالبا ما وفرلهم ذلك شعبية لدى اولئك الذين يحرصون على استغلالهم واضطهادهم.

لايستطيع اليسار منافسة ذلك سواء من خلال مدحهم كابطال " تقدمين " و" معادين للامبريالية "، أو من خلال التظاهر بأن المواجهة مع الامبريالية ليست هامة. بدلا من ذلك، على اليسار أن يحافظ على استقلاليته السياسية بأى تكلفة، مؤكدا على النقدالعلنى لهؤلاء الزعماء لكل من سياساتهم المحلية ولاخطائهم الحتمية في الصراع مع الامبريالية، في نفس الوقت التى يعلن أننا نريد هزيمة الامبريالية اكثر بكثير مما يريدون هم.

ولسوء الحظ، كان اليسار الايرانى ككل يتخبط من خطأ الى أخر، ولذلك انتهوا الى اتخاذ موقف محايد في الشهور الاخيرة من حرب الخليج الآولى عندما تدخل الاسطول امريكى مباشرة لترجيح كفة العراق ضد ايران. ولم يفهموا أنه كانت هناك طرق لاتخاذ موقف معاد للامبريالية ربما ساعد على تقوية الصراع ضد النظام الايرانى في الداخل (استنكاررفض النظام لاجبار الاغنياء على دفع تكاليف الحرب، انتقاد تكتيكات "الموجه البشرية " الوحشية والعبثية من ارسال مشاهد بأسلحة خفيفة في هجمات جبهوية على مواقع عراقية محصنة بقوات كبيرة،ادانة فشل النظام في وضع برنامج يحرص العمال العراقين والاقليات على الثورة ضد صدام حسين، استنكار الدعوة من أجل تعويضات الحرب حيث تجعل الشعب العراقى يدفع ثمن جرائم الحكام، وهكذا وبدلا من ذلك تتبنوا موقفا عزلهم تماما عن أى شخص في ايران يتذكر ان الامبريالية ارهقت البلاد في الماضى ويرى انها تفعل ذلك ثانية حين تسنح لها فرصة.

لم يكن اذن انتصار الخومينى حتميا، ولايبرهن كذلك على أن الحركة الإسلامية قوة رجعية متميزة يجب على اليسار أن يعد نفسه للتحالف مع الشيطان الاميريالية (بل والشيطان الرجيم) وحلفائه في الداخل في مواجهتها. انها فقط تؤكد أن الانتفاضة الثورية، في غياب قيادة مستقلة للطبقة العاملة، يمكن أن تؤدى الى أكثر من شكل واحد من اعادة الاستقرار الى الحكم البرجوازى تحت سيطرة دولة حزب واحد قمعية وسلطوية. لم تكن الوصفة السرية في هذه العملية طبيعة القرون الوسطى المزعومة في الاسلام، ولكن الفراغ الذى أوجده فشل المنظمات الاشتراكية في قيادة طبقة عاملة عديمة الخبرة ولكن مقاتلة.

ليست إيران وحدها هي التي سيطر فيها الإسلاميون على السلطة. ففي السنوات القليلة الأخيرة، أصبح للإخوان المسلمين في السودان النفوذ الحاسم في الحكومة العسكرية من خلال الجبهة الوطنية الإسلامية.

بدأ الإخوان المسلمون في السودان في الأربعينيات كامتداد لحركة الإخوان المسلمين التي أسسها البنا في مصر، ولكنها اكتسبت وجودا مستقلا بنظريات خاصة بها، بعد قضاء عبد الناصر على المنظمة الام في الخمسنيات. وترجع اصول التنظيم الى جامعة الخرطوم، حيث تعاركت الحركة مع الشيوعيين للسيطرة على الطلاب. أدى ذلك بقيادتها الاولى الى تأكيد العناصر الراديكالية في الافكار الإسلامية ولكن، في الستينات نجحت القيادة الجديدة بقيادة حسن الترابى في توسيع قاعدة المنظمة، مضيفة ألاف الاعضاء الجدد الى ال٢٠٠٠ عضو الاساسيين فيها.

"شهدت عضويتها أيضا تنوعا كبيرا من خلال ضم العلماء، وأئمة المساجد، والتجار، وقادة الطرق الصوفية وأخرين برغم أن نسسبة العناصر الغير حاصلة على تعليم حديث ظلت صغيرة في الاعضاء النشطين ".(١١٤)

وتزايد أعضائها اكثر في الثمانينات بفضل ظهور قطاع مالى اسلامى بتشجيع الدولة:

"فقد ساعدتهم سياسة التوظيف بالبنك الإسلامي التى فضلت المتدينين. وأدت المؤسسات الإسلامية الى ارتقاء طبقة جديدة تماما من رجال الاعمال الذين اصبحوا اغنياء في يوم وليلة وفتحت مجالات من التحرك الاقتصادى للكثير ممن كانوا سيصبحون، في اعلى تقدير، موظفين كبار بالخدمة المدنية ".

لم تكن جماعة الاخوان المسلمين تمتلك البنوك الإسلامية – فقد كانوا يمولون من السعودية ورأس المال المحلى.لكنها امتكلت قوة هائلة من خلال قدرتها على السيطرة على القروض والخدمات الاخرى للعملاء. (١١٥) تترجم ذلك في التأييد الذى حصل عليه الاخوان بين بعض الاغنياء الجدد وداخل ألة الدولة نفسها: " اسستمرت الحركة في الاعتماد على مناضلى القلب، ومعظمهم من المهنيين الحاصلين على تعليم حديث، ولكن بدأ خليط هائل من رجال الاعمال (أو مهنيين تحولوا الى تنفيذين) في التميز،. (١١٦)

في انتخابات ١٩٨٦ بعد الاطاحة بديكتاتورية النيمرى، حصلت جبهة الإخوان، أى الجبهة الوطنية الإسلامية، على١٨.٥ % من اجمالى الاصوات، ومعظم الاصوات حصلت عليها الاحزاب التقليدية. ولكنها حازت ما لايقل عن ٢٣ مقعدا من ٢٨ مقعدا التى انتخبها خريجو الجامعات فقط، واتضح في الحال أن لديها تأييدا كافيا بين قطاع من الطبقات الوسطى الحضرية ورجال الاعمال لتكون الحليف الطبيعى لشخصيات هامة في القوات المسلحة. وفي انقلاب عام ١٩٨٩ استولى الجنرال البشير على السلطة، ولكن بدا أن السلطة الحقيقية استقرت في أيدى الجبهة الوطنية الإسلامية. ومنذ ذلك الحين أصبحت الخرطوم أحد مراكز الحركة الإسلامية العالمية، وأحد مناطق جذب المناضلين المنافسة لطهران والرياض.وبرغم ذلك، لم يكن صعود الاخوان في السودان الى السلطة سهلا، فقد تكرر تعرضها لفقد عدد كبير من أعضائها وكثير من قاعدة تأييدها. ولكن من غير المحتمل أن يكون استمرارها في السلطة مأمونا.

سعى الترابى الى بناء نفوذ الاخوان، عندما كان منافسيه في الحكومة، من خلال التحريض بين الطلاب والطبقة الوسطى، والى حد ما بين العمال ولكنه بعد ذلك انتهز كل الفرص للمشاركة في الحكومة بنفسه حتى يزيد من تأثير الاخوان داخل مؤسسات

الدولة، وفعل ذلك للمرة الاولى في أوائل الستينات. وقد ساعد تحريض الاخوان بين الطلاب على تحلل ثورة اكتوبر ١٩٦٤ التى قام بها الطلبة، ومهنيى الطبقة الوسطى والعمال. وبعد ذلك استغلت تواجدها في الحكومة الجديدة لتهدئة الموجة الثورية والضغط لاعاقة الشيوعيين وكذلك جذبت اليها بعض الطبقات المحافظة صاحبة الامتيازات.

واتبعت نفس المناورة مرة ثانية بعد الانقلاب العسكرى الذى وضع الجينرال جعفر النميرى في السلطة في مايو ١٩٦٩. وقد اضطهد الاخوان مع الاحزاب التقليدية لبعض الوقت. ولكن فترة وجودها في المعارضة سمحت لها باعادة بناء بعض التأييد الشعبى الذى فقدته أثناء تواجدها في الحكومة، بسيطرتها على قيادة التحريض حول أحوال الطلاب وقيادة انتفاضة فاشلة للطلاب ضد النظام في ١٩٧٣.وبعد ذلك في السبعينات تشبثت بعرض من النميرى "للمصالحة الوطنية " حتى تنضم الى نظامه، مع تحول الترابى الى رجل قانون عسكرى، ومسئول عن مراجعة القوانين لجعلها تتفق مع الشريعة، (١١٧) وقد كانت هذه هى الفترة التى استخدمت خلالها تطور القطاع المالى الإسلامي لتثبت جذورها بين اصحاب رأس المال.وكان أيضا خلال هذه الفترة أن بدأت في كسب ضباط معينين في الجيش. وبرغم ذلك، خلقت هذه المناورات توترا مستمرا داخل الاخوان وهددت بصورة متكررة قاعدة تأييدها الاوسع. فلم تكن الكوادر الاساسية للاخوان منذ أوائل الخمسينات راضية على الاطلاق عن سلوك قادتها في غرس قطاعات من النخبة التقليدية من الاغنياء الجدد. ولم يبد مطلقا أ ن منهج الترابى يتناسب مع النظرية الاصلية للطليعة الإسلامية التى تبنوها كطلبة ثوريين في الاربعينات. وقد بدا لهم أنه يغذى الافكار الإسلامية حتى لكسب النفوذ (الاحترام) خاصة عندما بدأ في تجنيد النساء، وتأييد حصولهن على حق التصويت وأصدر كراسا يؤكد أن الاسلام "الحقيقى " يمنح المرأة نفس الحقوق التى يمنحها للرجل. (١١٨) بالنسبة للمنشقين فقد بدا ببساطة أنه يحاول أن يسترضى الطبقات الوسطى العلمانية. وفوق كل ذلك كان النميرى معروفا بسلوكه المنافي للاسلام وخاصة شرب الخمر. وقد فضل مجموعة من الاعضاء القدماء ثورية شخص مثل سيد قطب، وانشقوا أخيرا ليشكلوا منظمة خاصة بهم لها علاقة بالاخوان المسلمين في مصر. (١١٩)

بدأ التعاون مع نظام تقل شعبيته باستمرار في احباط التأييد الاوسع للاخوان. وشهدت أوائل الثمانينات موجه عالية من الثورة الشعبية ضد النميرى، بمظاهرات طلابية في ٨١- ١٩٨٢، واضراب عمال السكة الحديد في ١٩٨٢، وانقلابات قوات الجنوب في ١٩٨٣ تبعها اضرابات القضاة والاطباء. وخلال هذه الفترة اصبح الاخوان هم القوة الوحيدة خارج النظام نفسه التى تؤيد نميرى، وبدأت تخشى أن تدمر جنبا الى جنب مع الديكتاتور عندما سقط أخيرا.

عند ذاك استخدم النميرى ورقته الاخيرة. فقد أعلن التطبيق الفورى للشريعة في القانون. لم يكن لدى الاخوان أى خيار الا أن يندفعوا بثقلهم وراءه فلاكثر من ثلاثين عاما كانت اجابتهم على كل مشكلات السودان هى "العودة الى الشريعة". وقد كانت الشعار البسيط والوحيد الذى يربط رؤيتهم للاصلاح بالتقاليد الإسلامية للجماهير من خارج الطبقة الوسطى الحضرية. ولذلك بدأوا في التحريض تأييدا لتطبيق الشريعة، وذلك في مواجهة المعارضة من القضاه وجزء كبير من النظام القضائى. فشارك مليون شخص في مظاهرة للاخوان تدعو الى مؤتمر عالمى يناقش تطبيق الشريعة، وساعد اعضاء الاخوان على توفير العنصر البشرى في المحاكم الخاصة بتطبيق الشريعة التى أسسها النميرى.

رفع ذلك من جاذبية الاخوان وسط دوائر تقليدية معينة، خاصة عندما بدأت المحاكم في القبض على بعض الشخصيات البارزة وفضح فسادهم.وزادت القوة الجديدة التى حازتها من جاذبيتها للعاملين في آلة الدولة الذين يتطلعون للترقى ولكن بينما ادت هذه الاجراءات الى زيادة شعبية الاخوان بين بعض القطاعات التقليدية من السكان وبصورة اكبر بين من يديرون الدولة، فقد أدت ايضا الى زيادة هائلة في التذمر ضدهم بين قطاعات أخرى، فقد اغضبت العلمانيين أو معتنقى الاديان الاخرى (غالبة السكان في جنوب البلاد) دون أن تكون، في الواقع، قادرة على تحسين أحوال جماهير المسلمين. كانت اسطورة الشريعة هى أنها نظام قانونى جديد سيقضى على كل المظالم. ولكن لم يمكن تحقيق ذلك من خلال اصلاح لم يكن الا مجرد اصلاح قانونى، بل واصلاح قام

به نظام فاسد لاجماهيرية له. ولذلك لم يعنى هذا القانون الجديد حقا الا استخدام العقوبات الشرعية، أى الحدود – قطع يد السارق، رجم الزانى، وهكذا.

في الستنيات استطاع الاخوان بناء أنفسهم بين الانتليجنيتسيا الحضرية جزئيا بسبب تغافلها عن هذا الجانب من الشريعة. كان الاعتقاد الإسلامي الذى قبله الترابى هو " الدوران حول المسألة بالتأكيد على أن الحدود تطبق فقط في مجتمع اسلامى نموذجى الذى يختفي فيه الفقر تماما ".(١٢٠) ورغم ذلك، فالدليل الواضح تماما الان هو أن الشريعة بتغييرها للنظام القانونى اصبحت وسيلة استخدام هذه العقوبات، وتحول الترابى ١٨٠ درجة مهاجما من يعلنون أنه لايمكن فرض الاخلاق على الناس من خلال التشريع. (١٢١)

وقد تواكب التذمر ضد محاكم الشريعة التذمر ضد القطاع المالى الإسلامي، فقد ساعد ذلك بعض اعضاء الطبقة الوسطى الى الترقى لاعلى داخل قطاعات هامة من الاعمال.ولكنه بالضرورة قد احبط اكثر منهم بكثير:

"نشأت حالة من التذمر في وسط المجتمع التجارى وبين ألاف من المتطلعين الذين اعتقدوا أن سبب حرمانهم من فوائد النظام الجديد هو محسوبية الاخوان... وفي النهاية، كانت الادعاءات حول افساد الاخوان للنظام المصرفي الإسلامي هى الوصمة الوحيدة الاكثر ضررا التى برزت في عصر النميرى واسقطتهم في نظر القطاعات الكبيرة من السكان " (١٢٢)

واخيرا، فان تحالف الاخوان مع النميرى حول تطبيق الشريعة أجبرهم على التماس العذر له في وقت كانت تتزايد الثورة ضده. حتى برغم تحرك النميرى أخيرا ضد الاخوان بضغط من الولايات المتحدة قبل أن تطيح به انتفاضة شعبية بقليل، وكان الاوان قد فات بالنسبة للاخوان لان يرتبطوا بالثورة بأى معنى.

لقد استمرت، لتحوز سلطة اكبر من ذى قبل بين يديها خلال أربع سنوات، لأنها قدمت لضباط الجيش الذين انقلبوا أخيرا ضد النميرى شيئا لم يكن لدى أحدا أخر – ألاف الاعضاء النشطين المستعدين لمساندتهم في حربهم الاهلية الضارية ضد المتمردين غير الاسلامين في جنوب البلاد وفي قمعهم للتمرد في مدن الشمال.

كان تحالف القوى العلمانية التى قادت الثورة ضد النميرى قد اعاقته المصالح الطبقية المتناقضة، وعجز عن تحويل التمرد الى حركة للتغيير الكامل للمجتمع، شاملة اعادة التوزيع الشاملة للثروة ومنح حق تقريرالمصير للجنوب، أو عن القضاء عليه. سمح هذا للاخوان بطرح أنفسهم بقوة على ضباط الجيش كالقوة الوحيدة القادرة على فرض الاستقرار، كاشفة عن قوتها بوضوح من خلال تنظيم مظاهرات كبيرة ضد أى تنازلات لصالح متمردى الجنوب. ولذلك كان استحواذ العسكرين على السلطة في ١٩٨٩ مرة ثانية، حتى تمنع اتفاقية سلام مقترحة بين الحكومة والمتمردين، وتأمرت مع الاخوان.

وبرغم ذلك، يعرف الاخوان في السلطة اجابة واحدة فقط لكل المشكلات التى تواجه النظام – وهى زيادة القمع الوحشى المغلف في لغة دينية. ففي مارس ١٩٩١ أدخلت الشريعة مرة ثانية مع الحدود. والأن تواكبت الحرب في الجنوب مع القمع الموجه ضد الطوائف الغيرعربية الأخرى، شاملة الفيور والنوبيين، ذلك برغم ادعاءات الترابى، في فترة المعارضة، بأنه يرفض أى شكل من الاسلام يقوم على الشوفينية العربية. وكان أحد نماذج القمع ضد من يعارضون الحرب في الجنوب أحكام الاعدام التى صدرت منذ عامين ضد مجموعة من االاشخاص في دافور " لتحريضهم على الحرب ضد الدولة وحيازة اسلحة " وقد حكم على أحد الاشخاص بالشنق وأن تصلب جثته علنا بعد ذلك. (١٢٣) وعن اقتراب انتخابات النقابات والؤسسات المهنية كانت هناك تقارير عن الارهاب والاعتقالات والتعذيب. (١٢٤) حتى بعض المحافظين الذين أيدوا الحملة الإسلامية اصبحوا الأن يتعرضون للقمع. وكان النظام

يحكم قبضته على الطرق الصوفية " التى اعتقدوا أن احتفالاتها تربى التمرد الشعبى "،(١٢٥) ويوجه معظم الناس اللوم الى النظام والاخوان على تفجير أحد مساجد الصوفية أوائل هذا العام والذى قتل فيه ١٦ شخص.

وبرغم ذلك لم يوفرالقمع الاستقرار للنظام الا بصورة مؤقتة، فقد كانت هناك سلسلة من أعمال العنف في المدن منذ سنتين بسبب نقص السلع وزيادة الاسعار. ولم تستمر بوادرالتحدي الأولى لصندوق النقد الدولي، حيث بدا تطبيق برنامج "الإنقاذ الاقتصادي" الذي يعتمد على "التحرير الاقتصادي و "يتضمن كثير من السياسات التي يطالب بها الصندوق دائما" (١٢٦) وكذلك تجديد المفاوضات مع الصندوق، أدى ذلك إلى تدهور حاد في مستويات المعيشة،وغضب جماهيري أكثر وحركات تمرد أكثر.

في نفس الوقت، فأن النظام معزول عالميا عن الانظمة الإسلامية الرئيسية الأخرى: اختلف الاخوان مع ايران لوقوفهم ضدها في حرب الخليج الاولى، ومع السعودية بتأييدهم للعراق في حرب الخليج الثانية. وربما لهذا السبب حاولت أن تطرح نفسها كعامل جذب للاسلاميين في مناطق أخرى الذين لم يتأثروا بهاتين الدولتين وبالاخوان المسلمين المصرين – حتى برغم أن سياسات الترابى كانت، لمدة ثلاثين عاما، امتدادا للثورية التى دافعت عنها هذه الجماعات الإسلامية.

ورغم ذلك فان الاخوان السودانيين انفسهم يقعون تحت ضغط هائل، فتوجد اشاعات أن الجبهة الوطنية الإسلامية ربما تنشق الى جانبين، مع تهميش المندفعين، واشتراك المعتدلين نسبيا مع الاجنحة المحافظة من حزب الامة والحزبين التقليديين الرئيسيين. ويوجد انقسامات بين الجيل الأول من اعضاء الجبهة الوطنية الإسلامية المستعدين للتواجد جنبا الى جنب مع الاحزاب العلمانية والمتحمسين من الشباب الغير قابل للمساومة. (١٢٧)

نقطة أخيرة جديرة بالذكر عن السودان. لم يكن صعود الاخوان الى السلطة هناك نتاجا لقوة خرافية ما لديها.بل أن اسباب ذلك تقع في فشل القوى السياسية الاخرى أن تطرح حلا للأزمة العميقة والمتفاقمة في البلاد. ففي الخمسينات والستينات كان للحزب الشيوعى قوة اكبر من الاخوان.ونافس الاخوان على التأثير بين الطلبة وكان لهم اتباع بين نقابيى المدن.ولكنه في ٦٤ – ١٩٦٩ اختار أن يستخدم هذا النفوذ، ليس لتقديم برنامج ثورى للتغيير، ولكن للدخول في حكومة غير ثورية، التى انقلبت عليهم بعد ذلك بمجرد أن هدأت موجة الثورة الشعبية.لقد كان تأييد الاخوان للنميرى تحديدا في السنوات الاولى لحكمه هو الذى منحها الفرصة لاحراز السبق في الجامعة وتحطيم قاعدة الشيوعيين.

خـاتـمـة :

لقد أخطاء الاشتراكيون بالنظر الى الحركات الإسلامية على أنها اوتوماتيكيا "رجعية " و"فاشية " أو أنها أوتوماتيكيا " معادية للامبريالية " و"تقدمية " ان الحركة الإسلامية الراديكالية، بمشروعها في اعادة تشكيل المجتمع على النموذج الذى اقامه محمد في القرن السابع بالجزيرة العربية، في الواقع هى "يوطوبيا " نابعة من قطاع بائس من الطبقة الوسطى الجديدة. وكما في أى "يوطوبيا برجوازية صغيرة "(١٢٨) ،فان مؤيديها في الممارسة، يواجهون الاختيار بين محاولات بطولية عبثية لفرضها في مواجهة اولئك الذين يديرون المجتمع الحالى، أو المساومة معهم، بتوفير طابع ايديولوجى زائف لاستمرار القمع والاستغلال. وهذا هو حتما ما يؤدى الى الانشقاقات بين الجناح الراديكالى الارهابى من الحركة الإسلامية من جانب، والجناح الاصلاحى من الجانب الأخر.وهذا هو أيضا ما يدفع بعض الراديكاليين الى التحول عن استخدام السلاح في محاولة تأسيس مجتمع بدون "طغاه " الى استخدامه لفرض اشكال السلوك "الإسلامي " على الأفراد.

لايمكن للاشتراكيين اعتبار طوبيى البرجوازية الصغيرة كأعدائنا الاساسيين فهم ليسوا المسئولين عن النظام الرأسمالى العالمى أى قمع ألاف الملايين من البشر من أجل الاتجاه الأعمى للتراكم، ونهب قارات بكاملها بواسطة البنوك، أو الأليات التى دفعت الى سلسلة من الحروب البشعة منذ اعلان "النظام العالمى الجديد " ولم يكونوا مسئولين عن فظائع حرب الخليج الأولى، التى بدأت بمحاولة صدام حسين للتقرب من الولايات المتحدة ومشايخ الخليج،وانتهت بتدخل الولايات المتحدة المباشر لصالح العراق.ولايقع عليهم اللوم بالنسبة للمذابح في لبنان، حيث خلق الاكتساح الزدوج، أى تدخل سوريا ضد اليسار والاحتلال الاسرائيلى، الظروف التى شكلت العسكرية الشيعية. ولايقع عليهم اللوم في حرب الخليج الثانية، مع "القذف الموجه " الى مستشفيات بغداد وذبح ٨٠٠٠٠ شخص عند هروبهم من الكويت الى البصرة. وسوف يستمر الفقروالبؤس والقمع والتعدى على حقوق الانسان في بلاد مثل مصر والجزائر حتى لو اختفي الإسلاميون غدا. لهذه الاسباب لايمكن للاشتراكيين تأييد الدلة ضد الإسلاميين. ومن يفعلون ذلك، على أساس أن الإسلاميين يهددون المبادئ العلمانية، يسهلون فقط على الإسلاميين أن يصفوا اليسار كجزء من مؤامرة "االطغاة العلمانيين " "الكافرين " ضد القطاعات الاشد بؤسا في المجتمع. انهم يكررون اخطاء اليسار في مصر والجزائر عندما مدحوا انظمة لم تقدم شيئا للجماهير على أساس انها " تقدمية " – الأخطاء التى مكنت الإسلاميين من النمو. ويتناسون أن اى دعم تقدمه الدولة للمبادئ العلمانية هو فقط يعتمد على الظروف، واذا كان في مصلحتها، فسوف تقوم الدولة بعمل صفقة مع أكثر الإسلاميين تزمتا لفرض أجزاء من الشريعة خاصة الاجزاء التى تتضمن العقوبات الشديدة على الجماهير في مقابل تخلى الراديكاليين عن أعتقادهم بتحدى الاستبداد، هذا هو ما حدث في باكستان في ظل ضياء الحق والسودان في ظل النميرى، وهذا بالتأكيد ما تنصح به ادارة كلينتون العسكريين الجزائريين أن يفعلوه.

ولكن الاشتراكيين لا يمكن أن يؤيدوا الإسلاميين أيضا، فهذا يعنى المطالبة باستبدال أحد أشكال الاضطهاد بشكل آخر، وأن يردوا على عنف الدولة بالتخلى عن الدفاع عن الاقليات العرقية والدينية والنساء والمثليين جنسيا، وأن يشاركوا في التأمر على كبش الفداء الذى يجعل استمرار الاستغلال الرأسمالى ممكنا دون اعتراض بشرط أن يتخذ شكلا " اسلاميا ". وسوف يعنى التخلى عن هدف السياسة الاشتراكية المستقلة المبنية على تنظيم العمال في صراعهم لكل المقهورين والمستغلين وراءهم، لصالح حركة تذيلية لطوبوية البرجوازية الصغيرة التى لايمكنها أن حتى أن تنجح بشروطها الخاصة.

الإسلاميون ليسوا حلفاءنا، فهم يمثلون طبقة تحاول السيطرة على الطبقة العاملة وبقدر نجاحها تجر العمال اما في اتجاه مغامرة عبثية وكارثية أو في أتجاه الاستسلام الرجعى للنظام القائم أو غالبا في الاتجاه الاول ثم الثانى. ولكن هذا لايعنى أن نأخذ موقفا سلبيا رافضا للاسلاميين، فقد نموا على أساس مجموعات اجتماعية كبيرة تعانى في ظل المجتمع القائم، والذين يمكن تنظيم

شعورهم بالتمرد لصالح اهداف تقدمية بشرط وجود قيادة ناتجة عن ارتفاع مستوى الصراع العمالى. وحتى بعد هذا الارتفاع في مستوى الصراع بقليل يمكن أن يتأثر العديد من الافراد الذين تجذبهم الرؤى الراديكالية في الحركة الإسلامية بالاشتراكيين بشرط أن يربط الاشتراكيين بين الاستقلال السياسى التام عن كافة أشكال الحركة الإسلامية مع الاستعداد لانتهاز فرص جذب الإسلاميين الافراد الى أشكال راديكالية حقيقية من الصراع بجانبهم.

أن الحركة الإسلامية الراديكالية مليئة بالتناقضات، دائما ما تكون البرجوازية الصغيرة مشدودة في اتجاهين، نحو التمرد الراديكالى ضد المجتمع القائم ونحو المساهمة معه، ولذلك فان الحركة الإسلامية دائما تتأرجح بين الصراع من أجل تحقيقى الاحياء الكامل للمجتمع الإسلامي، والمساومة من أجل فرض الاصلاحات "الإسلامية " تعبر هذه التناقضات عن نفسها بالضرورة في صراعات مريرة وغالبا ما تكون عنيفة داخل الجماعات الإسلامية وفيما بينها.ان من ينظرون الى الحركة الإسلامية على أنها جمود رجعى فريد ينسون وجود الصراعات بين اسلاميين مختلفين حول الموقف الذى يتخذونه عندما كانت السعودية وايران في مواجهة بعضهم البعض أثناء حرب الخليج الأولى. وكانت هناك رؤى أدت الى قطع جبهة الانقاذ الإسلامية في الجزائر صلتها مع حلفائها السعوديين، أو بالإسلاميين في تركيا الى تنظيم مظاهرات مناصرة للعراق من مساجد يمولها السعوديون أثناء حرب الخليج الثانية.وهناك معارك عسكرية شرسة تشتعل بين الجيوش الإسلامية المتصارعة في افغانستان. واليوم يوجد جدال داخل منظمة حماس بين الفلسطينيين عما اذا كان يجب المساومة مع بقايا الادارة الفلسطينية بزعامة عرفات – وبالتالى بشكل غير مباشر مع اسرائيل – في مقابل تطبيقها للشريعة الإسلامية. هذه الخلافات حول التوجه تظهر بالضرورة بمجرد تعامل الاسلام "الاصلاحى " مع الدول القائمة الندمجة في النظام العالمى.لأن كل من هذه الدول في صراع مع بعضها، وكل منهم يتفق بطريقته الخاصة مع الامبرياليات السائدة

ومن الضرورى أن تظهر خلافات مماثلة في كل مرة يرتفع فيها مستوى الصراع العمالى، فمن يمولون المنظمات الإسلامية يريدون نهاية هذا الصراع، ان لم يكن تحطيمه. وبعض الشباب الإسلامي الراديكالى سيؤيد الصراع بشكل غريزى. وسوف يتشبث قادة المنظمات في الوسط، يهمسون بضرورة تصديق اصحاب العمل وضرورة ضبط النفس والصبر بالنسبة للعمال.

وأخيرا يدفع تطور الرأسمالية نفسه القادة الإسلاميين الى القيام بتحولات أيديولوجية فيالاوقات التى يقتربون فيها من السلطة.فيضعون القيم الإسلامية في مواجهة القيم الغربية "ولكن معظم مايدعونه بالقيم الغربية لاتقع جذورها في ثقافة أوروبية وهمية ما، ولكنها نشأت عن تطور الرأسمالية خلال القرنيين الماضيين.هكذا فمنذ قرن ونصف، كانت الرؤية السائدة بين الطبقة الوسطى الانجليزية عن الجنس مماثلة بوضوح لتلك التى يدعو اليها انصار الاحياء الإسلامي اليوم (الجنس خارج الزواج حرام، ولايحق للمرأة تعرية حتى كعبيها، واللاشرعية وكانت وصمة عار لايمكن للناس نسيانها)، وكان للمرأة حقوق أقل في بعض الشئون من تلك التى تمنحها لها معظم الرؤى الإسلامية اليوم (كان الميراث للابن الاكبرفقط، بينما يمنح الاسلام الابنة نصف نصيب الرجل، لم يكن لها حق الطلاق، بينما يمنحها الاسلام هذا الحق في ظروف محدودة جدا) لم يكن مل غير الميول الانجليزية شيئا ما نابعا من النفوس الغربية " الهوى " أو أى قيم "يهودية مسيحية مزعومة "ولكن تأثير التطور الرأسمالى – فحاجتها الى عمل المرأة دفعتها الى تغيير بعض المبادئ، والاهم من ذلك، وضعت المرأة في موقف تستطيع من خلاله المطالبة بتغيير أكثر بكثير.

لهذا السبب، حتى في البلاد االتى كانت الكنيسة الكاثولكية تتمتع بقوة هائلة فيها مثل ايرلندا وايطاليا وبولندا واسبانيا كان عليها أن تقبل مترددة تراجعا في نفوذها ولا تستطيع البلاد التى فيها الاسلام دين الدولة تحصين نفسها من الضغوط نحو تغيرات مماثلة برغم محاولاتها الشاقة.

يتضح ذلك من تجرية جمهورية ايران الإسلامية، فبرغم كل الدعاوى حول الدور الاساسى للمرأة كأم وزوجة، وكل الضغوط لاخراجهم من مهن معينة مثل المحاماة، فقد تزايدت قليلا نسسبة النساء في قوة العمل واستمرت لتشكل ٢٨% من موظفي الحكومة وهى نفس النسسبة في وقت الثورة. (١٢٩) في مقابل ذلك، أضطر النظام الى تغيير موقفه من منع الحمل، (١٣٠) باستخدام ٢٣% من النساء وسائل منع الحمل، وأحيانا الى تهدئة حدته في فرض الخمار. وبرغم أن النساء محرومات من المساواة في الحقوق مع الرجل في الطلاق وقوانين العائلة، فما زال لهن حق التصويت (وتوجد امراتين أعضاء في البرلمان) ويذهبن الى المدارس ولهن نصيب محدود من الاماكن في الجامعة في كل المجالات ويشجعن على دراسة الطب والتدريب العسكرى (١٣١) وكما يلاحظ ابراهيمان عن الخومينى:

" غالبا ما كان أتباعه المقربون يسخرون من التقليدين لكونهم مودة قديمة واتهموهم بأنهم مهوسون بالاتباع النقى مانعين بناتهم من الذهاب للمدرسة، ويصرون على ارتداء بناتهم الصغار للخمار حتى في عدم وجود رجال ويستنكرون الميول العقلية مثل الادب والموسيقى ولعب الشطرنج، والاسوأ من ذلك يرفضون الاستفادة من الصحف والراديو والتليفزيون." (١٣٢)

لاشئ من ذلك جدير بالدهشة، فمن يديرون الرأسمالية الايرانية ودولتها لا يستطيعون التخلى عن قوة عمل المرأة في قطاعات هامة من الاقتصاد. وكذلك بدأت تلك القطاعات من البرجوازية الصغيرة الذين يشكلون العمود الفقرى في الحزب الجمهورى الإسلامي في ارسال بناتها الى الجامعة والبحث عن عمل منذ السبعينات تحديدا لانها احتاجت الى الرواتب الاضافية لزيادة دخل العائلة وزيادة فرص الزواج لبناتهم، ولم يكونوا في الثمانيات على استعداد لالغاء ذلك لمجرد الاخلاص للتعليم الدينية.

لا تستطيع اى الايديولوجية الإسلامية تجميد التطور الاقتصادى وبالتالى التطور الاجتماعى اكثر مما تستيطيع أى أيديولوجية أخرى. ولذلك فمرة بعد مرة ستظهر التوترات العنيفة داخلها وتعبر عن نفسها من خلال منازعات أيديولوجية عنيفة بين انصارها. والشباب الإسلامي عادة ذكى ويهتم بمنتجات المجتمع الحديث.فهم يقرأون الكتب والصحف ويشاهدون التلفزيون، وبالتالى يعرفون كل الانقسامات والصدامات داخل حركاتهم الخاصة. وبرغم أنهم يصطفون بقوة في مواجهة " العلمانيين " سواء من اليسار أوالبرجوازية، سوف يجادلون بعضهم البعض بعنف – بالضبط مثل فعل انصار الروس وانصار الصين من عالم الحركات الستالينية المتحجر منذ ثلاثين عاما. وهذا الجدال سوف يبدأ في زرع شكوك خفية في اذهان بعضهم على الاقل. يستطيع الاشتراكيون الاستفادة من هذه التاقضات لدفع بعض الإسلاميين الاكثر راديكالية الى مراجعة انتمائهم للافكار والمنظمات الإسلامية – ولكن فقط اذا استطعنا تأسيس منظمة مستقلة خاصة بنا، والتى لاتتذيل الإسلاميين أو الدولة.

سوف نجد انفسنا في بعض القضايا في نفس الجانب مع الإسلاميين ضد الدولة والامبريالية. كان ذلك مثلا في عدد من البلاد أثناء حرب الخليج الثانية. ويجب أن يكون صحيحا في بلاد مثل فرنسا وبريطانيا عندما نكون في مواجهة التميز العنصرى، وعندما يكون الإسلاميون في المعارضة، فأن شعارنا يجب أن يكون "مع الإسلاميين أحيانا، ودائما ضد الدولة " ولكن حتى في ذلك الوقت، تستمر معارضتنا للاسلاميين حول قضايا أساسية. فنحن مع الحق في نقد الدين كما أننا مع الحق في ممارسته، ونحن مع حق عدم ارتداء الحجاب كما أننا مع حق الشابات في البلاد العنصرية مثل فرنسا في ارتدائه اذا رغبن في ذلك، ونحن ضد التميز الذى تمارسه المؤسسات الكبيرة في بلاد مثل الجزائر ضد من يتحدثون العربية، ولكننا ايضا ضد التمييز ضد البربر وتلك القطاعات من العمال وفقراء الطبقة الوسطى الذين تربوا على التحدث بالفرنسية. والاهم من ذلك، نحن ضد أى اجراء يضع قطاعا من المقهورين والمستغلين في مواجهة قطاع أخر على اساس أصول دينية أو عرقية. ويعنى ذلك أننا كما ندافع عن الإسلاميين ضد الدولة سوف ندافع أيضا عن اضطهاد النساء والبربر والاقباط والمثليين جنسيا ضد بعض الإسلاميين.

وعندما نجد أنفسا في نفس الجانب مع الإسلاميين، فأن جزءا من مهمتنا الجدال الشديد معهم وتحديهم ليس فقط في موقف منظماتهم من المرأة والاقليات ولكن أيضا عن المسألة الجوهرية ما اذا كان المطلوب هو التصدق من الاغنياء أو الاطاحة بالعلاقات الطبقية القائمة.

لقد أرتكب اليسار خطأين في التعامل مع الإسلاميين في الماضى، الاول كان تجاهلهم كفاشيين لا يوجد بيننا وبينهم شئ مشترك والثانى كان النظر اليهم كتقدميين لا يجب توجيه النقد ضدهم. ولعب هذان الخطأن معا دورا في مساعدة الإسلاميين على النمو على حساب اليسار في معظم بلاد الشرق الاوسط، ومن الضرورى وجود رؤية مختلفة ترى الحركة الإسلامية نتاجا لآزمة اجتماعية عميقة لايمكن حلها وأن نناضل لكسب بعض الشباب الذين يؤيدونها الى رؤية اشتراكية ثورية مستقلة ومختلفة عنها تماما.

الـهـوامـش

١. هكذا استنتجت دراسة ثاقبة عن الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٦٩ ان محاولة إحياء الحركة في وسط الستينات "كان " الانفجار المتوقع للتوتر المستمر الذي سببه إحياء الحركة في وسط الستينات "كان الانفجار المتوقع للتوتر المستمر الذي سببه الهامش الصغير من النشطين المتبنيين لموقف اسلامي غير مؤثر تجاه مجتمعهم" ر. ب ميشل ، الأخوان المسلمون (١٩٦٩)

٢. مقال في جريدة " نيو ستيتسمان – New Statesman عام ١٩٧٩ مذكور في فريد هاليدي : الثورة الإيرانية وعواقبها، نيو لفت ريفيو – New Left Review166، نوفمبر – ديسمبر ١٩٨٧ ص ٣٦

٣. مقابلة مع الحركة الشيوعية الجزائرية (ح. ش. ج) في الاشتراكية الأممية – Socialisme Internnationale باريس يوينو ١٩٩١ . ح ش. ج. لم تعد موجودة الآن.

٤. ف. هاليدي ، المصدر السابق ص ٥٧

٥. عن التأييد المطلق الذي أعطته التنظيمات اليسارية المختلفة للإسلاميين أنظر : ف. مارشال، الثورة والثورة المضادة في إيران (لندن ١٩٨٨) ص ٦٠- ٦٨ ص ٨٩- ٩٢ وكذلك م. موعادل " الطبقة والسياسة والأيديولوجية في الثورة الإيرانية (نيويورك ١٩٩٣) ص ٢١٥ – ٢١٨ و ف. موجادان: الطرق الخاطئة في إيران " نيو لفت ريفيو – New Left Review.

٦. كتيب مذكور في ر. ميتشل ، المصدر السابق ص ١٢٧

٧. س . أحمد : اكتشاف الإسلام (نيودلهي ، ١٩٩٠) ص ٦١- ٦٤.

٨. عن الصوفية الأفغانية أنظر : أ. روي ، الإسلام والمقاومة في أفغانسات (كامبريدج ، ١٩٩٠) ص ٣٨- ٤٤، وعن الصوفية في الهند وباكستان أنظر أ.س أحمد ، المصدر السابق ص ٩٠- ٩٨.

٩. إ.خوميني ، الإسلام والثورة ،(بيركلي ، ١٩٨١) مذكور في أ. س

١٠. روي ، المصدر السابق، ص ٨٨ – ٩٠.

١١. جزبز أنتليس، الجزائر ، الثورة المؤسسة (بولدر ، ١٩٨٦) ص ٧٦

١٢. المصدر السابق.

١٣. من المسئول عن العنف؟ منشور في الجزائر والإسلاميين، تحرير. م. الأحنف و ب. بوتيفو وف. فريجوس (باريس، ١٩٩٠) ص ١٣٢ وما بعده.

١٤. المصدر السابق، ص ٣١.

١٥. ج. كيبل، النبي والفرعون، (لندن ١٩٨٥) ص ١٠٥

١٦. أنظر ، مثلا، ك، بفايفر، الإصلاح الزراعي في ظل رأسمالية الدولة الجزائرية (بولدر، ١٩٨٥) ص ٥٩ وس . أندرسون، فلاح أم بروليتاري؟ (ستوكهولم ، ١٩٨١)، ص ٦٧، و م. رافينوت وب . جاكيمو، رأسمالية الدولة في الجزائر (باريس، ١٩٧٧).

١٧. ج. ب . أنتليس، الجزائر، الثورة المؤسسة (بولدر، ١٩٨٦) ص ٧٦.

١٨. المصدر السابق

١٩. روديا، الإخوان و المسجد ، (باريس، ١٩٩٠)، ص ٣٣

٢٠. روي و المصدر السابق، ص ٨٨- ٩٠.

٢١. روديا ، المصدر السابق، ص ٨٢.

٢٢. المصدر السابق، ص ٧٨

٢٣. المصدر السابق

٢٤. عن تلك الأحداث أنظر د. هيرو، الأصولية الإسلامية (لندن ، ١٩٨٩)، ص ٩٧.

٢٥. هـ. أ. شيهابي، السياسة الإيرانية والحداثة الدينية، (لندن، ١٩٩٠)، ص ٨٩.

٢٦. أبراهامين، المجاهدون الإيرانيون ، (لندن ، ١٩٨٩)، ص ١٠٧,٢٠٦، ٢١٤، ٢٢٥-٢٢٦.

٢٧. م. موعادل، المصدر السابق، ٢٢٤- ٢٣٨.

٢٨. أ . بيات ، العمال و الثورة في إيران، (لندن، ١٩٨٧)، ص ٥٧.

٢٩. أ تباري، الإسلام والنضال من أجل تحرر النساء الإيرانيات، في أ. تباري و ن . يجانه، في ظل الإسلام، الحركة النسائية في إيران.

٣٠. أ.روي ، المصدر السابق، ص ٦٨- ٦٩.

٣١. م. الأحنف وب . بوتيفو وف. فريجوس ، المصدر السابق.

٣٢. أ.روديا، المصدر السابق.

٣٣. المصدر السابق.

٣٤. في ١٩٨٩ من ٢٥٠ ألف تقدموا لامتحان البكالوريا لم ينجح إلا ٥٤ ألف فقط، المصدر السابق ، ص ١٣٧
٣٥. المصدر السابق
٣٦. المصدر السابق ص ١٤٦
٣٧. المصدر السابق، ص ١٤٧
٣٨. أنظر ن. ميتشل، المصدر السابق، ص ١٣.
٣٩. أنظر المصدر السابق، ص ٢٧.
٤٠. المصدر السابق، ص ٣٨.
٤١. م. حسين، الراديكالية الإسلامية كحركة سياسية احتجاجية، في ن. السعداوي، ش. حتاتة، س. صفوت، الأصولية الإسلامية (لندن، ١٩٨٩).
٤٢. المصدر السابق.
٤٣. ش. حتاتة، العلاقات بين الغرب والشرق، في ن. السعداوي.. المصدر السابق.
٤٤. ج. كيبل، المصدر السابق، ص١٢٩.
٤٥. المصدر السابق، ص ١٣٧
٤٦. المصدر السابق، ص ١٤٣ — ١٤٤
٤٧. المصدر السابق، ص ٨٥
٤٨. المصدر السابق، ص ٩٥- ٩٦.
٤٩. المصدر السابق، ص١٤٩.
٥٠. لتحليل تلك الفترة أنظر مثلا، ا. دابات و ل. لورنزو ، Conflicto Malvinense Crisis Nacional (المكسيك ١٩٨٢) ص ٤٦- ٤٨.
٥١. ٥١- م. الأحنف وآخرين ، المصدر السابق.
٥٢. يفشل مقال ف. مارشال — المفيد فيما عدا ذلك : الأصولية الإسلامية — الاضطهاد والثورة (في الاشتراكية الأممية ، ٤٠) لأنه لا يميز بين معاداة الإمبريالية الصغيرة التي تواجه أنظمة دول رأسمالية مستقلة ومندمجة في النظام العالمي. فقد كان كل تركيزه يقع على الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الحركات في التعبير عن الصراع ضد الإمبريالية ، وهو هنا يتجاهل أن الدولة المحلية والبرجوازية المحلية عادة ما تكون العامل المباشر للاستغلال والاضطهاد في العالم الثالث، اليوم وهو شئ تدركه لدرجة على الأقل بعض تيارات الإسلام الراديكالي. وهو يفشل أيضا في أن يرى أن حركات أخرى سابقة — ==البيرونية مثلا، تستخدم هذه الشعارات حول الإمبريالية لتبرير الصفقات التي ستبرمها مستقبلا مع الدولة المحلية والطبقة الحاكمة، وفي نفس الوقت تقوم تلك القيادات بتوجيه الغضب في اتجاه غضبات ضد الأقليات التي يصفونها بعملاء " الإمبرالية الثقافية". يخطئ إذا مارشال في طرحه أن الماركسيين الثويين يجب أن يكون موقفهم تجاه الحركة هو نفس الموقف الذي طوره الكومنترن قبل الستالينية تجاه الحركات الصاعدة المعادية للاستعمار في أوائل العشرينات. يجب علينا بالطبع أن نتعلم من الكومنرن في بداياته أنه يمكننا أن نكون على نفس الجانب مع حركات طالما حاربت الإمبريالية وفي نفس الوقت نختلف مع سياستها واستراتيجيتها وتكتيكها، ونحاول الإطاحة بقياداتها. ولكن هذا لا يعني على الإطلاق أن نقول أن الحركات الإسلامية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة في التسعينات هي نفسها الحركات المعادية للاستعمار في العشرينات. و إلا سقطنا فينفس الخطأ الذي ارتكبه اليسار في بلدان مثل الأرجنتين خلال الستينات والسبعينيات حين أيد وطنية البرجوازية بحجة أنهم يعيشون في دول شبه مستعمرة.
٥٣. أ . ابرا هامين، الخومينية، المصدر السابق، ص ٣.
٥٤. المصدر السابق، ص ١٧
٥٥. روي ، المصدر السابق، ص ٧١.
٥٦. م. الأحنف وآخرين ، المصدر السابق ص ٢٦- ٢٧.
٥٧. ر. ميتشل المصدر السابق، ص ١٤٥.
٥٨. المصدر السابق، ص ١١٦
٥٩. المصدر السابق، ص ٤٠.
٦٠. كتاب لحسن الهضيبي، مذكور في ج. كيبل، المصدر السابق، ص ٦١.
٦١. المصدر السابق، ص ٧١.
٦٢. المصدر السابق.
٦٣. المصدر السابق، ص ٤٤
٦٤. المصدر السابق، ص ٥٣.
٦٥. للتفاصيل أنظر المصدر السابق، ص ٧٨.
٦٦. لشرح تفصيلي لرؤية عبد السلام فرج في كتابه الفريضة الغائبة أنظر المصدر السابقو ص ١٩٣-٢٠٢
٦٧. المصدر السابق، ص ٢٠٨

٦٨. المصدر السابق، ص ١٦٤

٦٩. المصدر السابق ص ٢١٠

٧٠. روديا، المصدر السابق ص ٢٠

٧١. المصدر السابق، ص ٣٣، ٣٤.

٧٢. المصدر السابق، ص ٣٦

٧٣. المصدر السابق، ص ١٤٤

٧٤. المصدر السابق ص ١٤٥-١٤٦

٧٥. ج. ب. أنتيلس، المصدر السابق، ص ٧٤

٧٦. روديا، المصدر السابق، ص ١٩١.

٧٧. المصدر السابق، ص ٢٠٩.

٧٨. م. الأحنف وآخرين، المصدر السابق، ص ٣٠

٧٩. المصدر السابق.

٨٠. ج. جوليتسو، Argelia en el Vendava في (البايس El-Pais) , 30– مارس ١٩٩٤.

٨١. السلام، ترجمة، م. الأحنف، المصدر السابق، ص ٢٠٠– ٢٠٢.

٨٢. عن هذه الأحداث أنظر في ج. جوليتسو، المصدر السابق، ٢٩ مارس ١٩٩٤ هذا هو الطريق الذي تقترحة الن جريدة رأس المال البيرطاني، الفاينانشيال تايمز، اليومية وكذلك الحكومة الأمريكية.

٨٣. ج. جوليتسو، المصدر السابق، ٣٠ مارس ١٩٩٤.

٨٤. المصدر السابق.

٨٥. المصدر السابق.

٨٦. المصدر السابق، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

٨٧. الجارديان، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

٨٨. الجارديان، ١٣ إبريل ١٩٩٤.

٨٩. ج. جوليتسو، المصدر السابق، ٢٩ مارس ١٩٤٤.

٩٠. أنظر الترجمة السياسية في ، م. الأحنف ، المصدر السابق.

٩١. المصدر السابق، ص ١٠٩

٩٢. يطرح وجهة النظر هذه ف. هاليدي ، المصدر السابق، وقد طرحت في علاقتها بالستالينية من قبل ماكس شاختمان وآخرين. أنظر ماكس شاختمان، الثورة البيروقراطية ، (نيويورك ١٩٦٢) ولنقد وجهة النظر هذه أنظر ت. كليف، الملحق الثاني: نظرية البيروقراطية الجماعية، في رأسمالية الدولة في روسيا (لندن ، ١٩٨٨).

٩٣. هذا هو موقف الكثيرين اليوم من اليسار في مصر والجزائر.

٩٤. هـ. أ. شيهابي المصدر السابق ص ١٦٩.

٩٥. للتفاصيل أنظر. أ بيات، المصدر السابق، ص ١٠١– ١٠٢ ، ١٢٨-١٢٩.

٩٦. هذه الأرقام مذكورة في المصدر السابق، ص ١٠٨.

٩٧. م. م. صالحي ، التمرد من خلال الثقافة والدين (نيويورك، ١٩٨٨).

٩٨. هـ. أ. شيهابي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

٩٩. الرقم مذكور في د. هيرو، المصدر السابق، ص ١٧٨.

١٠٠. أنظر الفصل الثالث من كتابي (كريس هارمان)، الصراع الطبقي في أوروبا الشرقية ٤٥– ١٩٨٣، (لندن ، ١٩٨٣).

١٠١. كليف، الثورة الدائمة المنحرفة.

١٠٢. ولم يمثلوا أيضا، كما يطرح هاليدي، القوى الاجتماعية القبل – رأسمالية المصدر السابق، ص ٣٥ ويظهر هاليدي من خلال هذا الطرح كيف أن أصوله الماوية،تمنعه من فهم طبيعة الرأسمالية في هذا القرن.

١٠٣. كما يطرح ف. مارشال في كتابه الممتاز، الثورة والثورة المضادة في إيران المصدر السابق.

١٠٤. بيات، المصدر السابق، ص ١٣٤.

١٠٥. كليف ، المصدر السابق.

١٠٦. م. معادل، المصدر السابق، ص ٢١٢.

١٠٧. ف. هاليدي ، المصدر السابق، ص ٥٧.

١٠٨. تخطئ مريم بويا في استخدام اصطلاح " المجالس العمالية في ترجمة مجالس الشورى، فيمقالتها ، إيران ١٩٧٩ تحيا الثورة يحيا الإسلام؟، في بروفات ثورية (لندن ، ١٩٨٧).

١٠٩. وفقا لـ م. موعادل، المصدر السابق، ص ٢٣٨.

١١٠. أ . بيات. المصدر السابق، ص ٤٢.

١١١. ابراهامين، المجاهدون الإيرانيون، المصدر السابق ص ١٨٩.

١١٢. م. بويا،المصدر السابق.

١١٣. م. بويا ، المصدر السابق، ص ٢١٦.

١١٤. عبد الوهاب الافندي ثورة الترابي الإسلام والسلطة في السودان (لندن ١٩٩١)ص ٨٩.

١١٥. المصدر السابق، ص ١١٦- ١١٧.

١١٦. المصدر السابق، ص ١١٧.

١١٧. المصدر السابق، ص ١١٧.

١١٨. بالنسبة لموقفه من المرأة انظر ملخص كتيبه في المصدر الساب ص ١٧٤.

١١٩. أفندي المصدر السابق.

١٢٠. المصدر السابق، ص ١٦٣

١٢١. المصدر السابق، ص ١٦٣ — ١٦٤.

١٢٢. المصدر السابق، ص ١٢٢.

١٢٣. تقرير منظمة العفو الدولية، مذكور في تقرير وحدة معلومات الإيكونوميست (السودان، ٤: ١٩٩٢).

١٢٤. المصدر السابق.

١٢٥. تقرير وحدة معلومات الايكونوميست ، السودان ، (٣: ١٩٩٣)

١٢٦. وحدة معلومات الايكونوميست السودان (١٩٩٣-١٩٩٤)

١٢٧. تقرير وحدة معلومات الإيكونوميست ، السودان، (١ :١٩٩٣)

١٢٨. كان هذا وصفا صحيحا لأفكار مجاهدي خلق طرحه ذلك الجناح من القيادة والعضوية الذي انشق في وسط السبعينات ليكون تنظيم بايكار. ولكن للأسف ظل هذا التنظيم في إطار أفكار حرب العصابات والماوية بدلا من الماركسية الثورية.

١٢٩. ف. موجدوم المرأة والعمل والأيديولوجية في الجمهورية الإسلامية.

١٣٠. المصدر السابق، ص ٢٢٧.

١٣١. المصدر السابق.

١٣٢. أبراهامين، الخومينية ، المصدر السابق، ص ١٦.